دليل المناضل
المكتبة الاقتصادية

٧

لينين

الرأسمالية في الزراعة

ترجمة أسامة توفيق



الرأسمالية في الزراعة

دار ابن خلدون

كورنيش المزرعة ـ بناية ريفييرا سنتر

بيروت ص. ب ١١٩٣٠٨

هاتف ٣١٢٣٣٥

الطبعة الاولى

١٩٨٠\١\١

دليل المناضل

المكتبة الاقتصادية ـ ٧

لينين

الرأسمالية في الزراعة

ترجمة : اسامة توفيق

دار ابن خلدون

الراسمالية في الزراعة

(كتاب كاوتسكي ومقالة السيد بولجاكوف)

● كتب في ابريل – مايو ١٨٩٩ ونشر في يناير – فبراير ١٩٠٠ في مجلة جيزن (الحياة) بتوقيع فل. ايلين .

● مترجم عن الاعمال الكاملة ، مجلد ٤ ، النسخة الانجليزية ، موسكو ١٩٦٤ ، دار التقدم .

المقالـة الاولى

تحتوي مجلة ناتشالو عدد ١ ـ ٢ (القسم الثاني من ص ١ ـ ٢١) على مقـال للسيد س. بولجاكوف بعنوان : « اسهام في مسألة التطـور الرأسمالي فـي الزراعة » ، وهو عبارة عن نقد لكتاب كاوتسكي عـن المسألة الزراعية . ويقول السيد بولجاكوف عن حـق أن « كتاب كاوتسكي يمثل وجهة نظـر متكاملة عـن العالم » ، وأن له أهمية نظرية وعملية كبيرة . وانـه وبما يكون أول بحث منهجي وعلمي لهـذه المسألة التي اثارت جدلا حاميا في كل البلاد ولا زالت تثير مثـل هذا الجدل ، حتى بين الكتاب الذين يتفقون في الآراء العامة والذين يعتبرون انفسهم ماركسيين . ان السيـد بولجاكوف « يقصر نفسه على النقد السلبي » وعـلى نقد « المسلمات الفردية في كتاب كاوتسكي » (التي عرضها لقراء « ناتشالو » على نحـو مختصر جـدا ، وغاية في عدم الدقة كما سنبين) . ويأمـل السيـد بولجاكوف « أن يقدم فيما بعد عرضا منهجيـا لمسألة التطور الراسمالي في الزراعة » وبهذه الطريقة « يقدم ايضا وجهة نظر عن العالم متكاملة » فـي معارضـة وجهة نظر كاوتسكي .

وليس لدينا أدنى شك في ان كتـاب كاوتسكي سيثير جدلا ليس بالقليل بين الماركسيين في روسيا ،

وأن هناك في روسيا أيضا من سيعارضه كما أن البعض الآخر سيؤيده . وعلى اية حال ، فان مؤلف هذه السطور يعارض بكل ما لديه من يقين رأى السيد بولجاكوف وتقييمه لكتاب كاوتسكي . فعلى الرغم من اعتراف السيد بولجاكوف بأن كتاب **المسالة الزراعية** Die Agrarfrage « عمل مرموق » فان تقييمه كان حادا بشكل يدعو للاستغراب ، ومكتوب بلهجة غير تلك المعتادة في الجدل بين مؤلفين من اتجاهات متقاربة . وهذه عينات من التعبيرات التي يستخدمها السيد بولجاكوف : « سطحي للغاية » ... « تافه في كل من علم الزراعة الواقعي وعلم الاقتصاد الواقعي بنفس القدر » ... « ان كاوتسكي يستخدم **عبارات فارغة** ليتهرب من المسائل العلمية الجادة » . (التشديد من السيد بولجاكوف) ... الخ الخ . ولذا فاننا سوف نفحص بعناية هذه التعبيرات التي استخدمها ذلك الناقد القاسي، ونقدم في الوقت ذاته كتاب كاوتسكي للقاريء .

- ١ -

ان السيد بولجاكوف يوجه بهذه المناسبة ضربة لماركس حتى قبل ان ينصرف لكاوتسكي . وغني عن البيان أن السيد بولجاكوف يؤكد الخدمات العديدة التي قدمها هذا الاقتصادي العظيم الا أنه يلاحظ أن المرء يصطدم في أعمال ماركس « احيانا » ، « بآراء خاطئة ... رفضها التاريخ على نحو كاف » . و «من

ضمن هذه الآراء على سبيل المثال ذلك الراي القائل بأن راس المال المتغير في الزراعة يتناقص بالنسبة لراس المال الثابت مثلما حدث في الصناعة المعملية ، وهكذا فان التركيب العضوي لرأس المال الزراعي يزداد باستمرار» . من المخطىء هنا هل هو ماركس أم السيد بولجاكوف ؟ ان السيد بولجاكوف يضع في اعتباره أن التقدم التكنيكي في الزراعة والكثافة المتزايدة للزراعة يؤديان في الغالب **الى تزايد** كمية العمل الضروري لزراعة قطعة معينة من الارض . وذلك أمر لا جدال فيه ، الا انه أبعد من أن يكون رفضا لنظرية تناقص راس المال المتغير **نسبيا** بالنسبة لراس المال الثابت، وعلى **نحو متناسب** مع راس المال الثابت. فنظرية ماركس تؤكد فحسب على ان معدل م\ث (م = رأس المال المتغير ، ث = راس المال الثابت) في عمومه يميل للتناقص عندما يتزايد م في وحدة المساحة . فهل تدحض نظرية ماركس اذا تزايد ث في الوقت ذاته على نحو اكثر سرعة ؟ ان الزراعة في البلاد الراسمالية اذا اخذت في مجملها تبين تناقص (م) وتزايد (ث) . فسكان المناطق الريفية وعدد العمال الذين يعملون في الزراعة يتناقص في المانيا وفرنسا وانجلترا ، في حين أن عدد الماكينات المستخدمة في الزراعة يتزايد . وفي المانيا على سبيل المثال من ١٨٨٢ الى ١٨٩٥ تناقص عدد سكان الارياف من ١٩٢٠٠٠٠٠ الى ١٨٥٠٠٠٠٠ (وتناقص عدد العمال الذين يعملون بالاجر في الزراعة من ٥٩٠٠٠٠٠

الى ٥٦٠٠٠٠٠) ، على حين تزايد عدد الماكينات المستخدمة في الزراعة من ٤٥٨٣٦٩ الى ٩١٣٣٩١ * ؛ وتزايد عدد الماكينات التي تدار بالبخار وتستخدم في الزراعة من ٢٧٣١ (في سنة ١٨٧٩) الى ١٢٨٥٦ (في سنة ١٨٩٧) على حين تزايد اجمالي قوة أحصنة الآلات البخارية المستخدمة اكثر من ذلك . وتزايد عدد المواشي من ١٥٨٠٠٠٠٠ الى ١٧٥٠٠٠٠٠ وتزايد عدد الخنازير من ٩٢٠٠٠٠٠ الى ١٢٢٠٠٠٠٠ (في ١٨٨٣ و ١٨٩٢ على التوالي) . وفي فرنسا تناقص سكان الارياف من ٦٩٠٠٠٠٠ (مستغلة) في ١٨٨٢ الى ٦٦٠٠٠٠٠ في ١٨٩٢ ؛ وتزايد عدد الماكينات الزراعية كالتالي : سنة ١٨٦٢ ــ ١٣٢٧٨٤ ؛ سنة ١٨٨٢ ــ ٢٧٨٨٩٦ ؛ سنة ١٨٩٢ ــ ٣٥٥٧٩٥ . وكان عدد المواشي كالتالي : ٠٠٠٠٠٠ ١٢ ؛ ١٣٠٠٠٠٠٠ ؛ ١٣٧٠٠٠٠٠ على التوالي ؛ وعدد الخيول ٢٩١٠٠٠٠، ٢٨٤٠٠٠٠ ، ٢٧٩٠٠٠٠ على التوالي (ان الانخفاض في عدد الخيول في فترة ١٨٨٢ ــ ١٨٩٢ يعتبر قليل الاهمية بالنسبة للانخفاض في سكان القطاعات الريفية) . وبهذه الطريقة فان تاريخ البلاد الرأسمالية في مجمله لا يدحض بكل تأكيد امكانية تطبيق قانون ماركس في الزراعة بل يؤكدها . لقد كان الخطأ الذي وقع فيه السيد بولجاكوف هو انه رفع وقائع معينة في اقتصاديات الزراعة على نحو

---

* الماكينات من مختلف الانواع مجتمعة . حتى يثبت عكس ذلك ، وكل البيانات ماخوذة عن كتاب كاوتسكي .

متسرع دون البحث في دلالتها الى مستوى القوانين الاقتصادية **العامة** . ونحن نؤكد على كلمة « العامة » لان ماركس وتلاميذه لا ينظرون بتاتا الى تلك القوانين الا باعتبارها قوانين لكل الحالات الفردية . ولقد اشار ماركس نفسه الى انه حتى في الصناعة تعقب فترات التغير التكنيكي (حيث يتناقص معدل م/ث) فترات تقدم في القاعدة التكنيكية المحددة (حيث يبقى معدل م/ث ثابتا الى حد انه قد يزيد في حالات معينة) . ونحن نعرف حالات في التاريخ الصناعي للبلاد الراسمالية تعارضت مع هذا القانون فروع بكاملها من الصناعة ، مثلما حدث عندما انهارت الورش الراسمالية الكبيرة (التي سميت خطأ مصانع) وحلت محلها الصناعة الراسمالية المنزلية (capitalist domestic industry) . ولا شك في ان عملية تطور الراسمالية في الزراعة معقدة على نحو يستعصى على القياس وانها تتخذ اشكالا لا نظير لها في تنوعها .

ولنرجع الان الى كاوتسكي . ان المجمل الذي يبدأ به كاوتسكي عن الزراعة في المرحلة الاقطاعية يقال عنه انه « مصنف سطحي للغاية ولا لزوم له » . من الصعب ان نفهم الدافع لمثل هذا الحكم . غير اننا متأكدين من انه لو نجح السيد بولجاكوف في انجاز خطته في ان يقدم عرضا منهجيا للتطور الراسمالي في الزراعة ، فانه كان يتعين عليه ان يجمل الملامح الاساسية للاقتصاد الزراعي فيما **قبل الراسمالية** .

فدون ذلك لا يمكن فهم طابع الاقتصاد **الراسمالي** ، والاشكال الانتقالية التي تربطه بالاقتصاد الاقطاعي. ويعترف السيد بولجاكوف ذاتـه بالاهمية البالغـة « للشكل الذي تتخذه الزراعة في **بداية** (التشديد من بولجاكوف) طريقها الراسمالي » . وهذا على وجه الدقة ما يبدا به كاوتسكي « بداية الطريق الراسمالي» للزراعة الاوروبية . وهـذا المجمل الـذي قدمـه كاوتسكي عن الزراعة الاقطاعية ممتاز في راينا ؛ وهو يكشف عن وضوح غير عادي وقدرة على اختيار مـا هو اكثر اهمية واساسي دون الانخراط في تفاصيل ثانوية وهو ما يتميز به هذا الكاتب عموما . ويقدم في البداية في مقدمته عرضا دقيقا للغاية للمسألة . ويعلن بأكثر الالفاظ توكيدا انه « ليس هناك ادنى شك — ونحـن مستعدين لقول هـذا **منـذ البدايـة** (Von Vornherein) — ان الزراعة لا تتطور على نموذج الصناعة ذاته : فهي موضوع لقوانين خاصة» (ص ٥—٦) . والواجب هو « ان نبحث فيما اذا كـان راس المال يخضـع الزراعة لسيطرته ، وان ندرس الطريقة التي يسيطر بها على الزراعة وكيف يغيرها ، وكيف يبطل اشكال الانتاج القديمة واشكال الملكية القديمة ، ويخلـق احتياجا لاشكال جديدة » (ص ٦) . مثل هذا التقديم للمسألة ، ومثل هـذا التقديم فحسب يمكـن ان يؤدي الى تفسير كـاف « لتطور الزراعة في المجتمع الراسمالي » (عنوان الجزء الاول — النظري — من كتاب كاوتسكي) .

في بداية « الطريق الرأسمالي » كانت الزراعة في ايدي الفلاحين الذين كانوا خاضعين بصفة عامة للنظام الاقطاعي في الاقتصاد الاجتماعي . ويصف كلوتسكي في البداية نظام الفلاح في الزراعة الذي يجمع بين الزراعة والصناعة المنزلية ، وبالاضافة الى ذلك يصف عناصر الانهيار في جنة البرجوازية الصغيرة هذه ، جنة الكتاب المحافظين (على غرار سيسموندي) ، واهمية الربا والتدرج في « التدخل في الريف ، وفي عقر دار الفلاح ، واهمية الصراع الطبقي الذي تضى على جماعية المصالح وقضى على الانسجام القديم » (ص ١٣) . هذه العملية التي بدات منذ العصور الوسطى لم تنته بعد تماما حتى اليوم . نحن نؤكد على هذه العبارة لانها تبين على نحو مباشر الخطأ التام للسيد بولجاكوف في تأكيده ان كاوتسكي لم يتساءل حتى عمن هو الذي كان رسول التقدم التكنيكي في الزراعة . لقد اثار كاوتسكي هذا السؤال واجاب عليه على نحو محدد تماما ؛ واي امرىء يقرأ كتابه بعناية سيفهم ان الحقيقة (التي يغفل عنها في غالب الاحيان المتخصصون في الزراعة والشعبيون وغيرهم) هي ان رسول التقدم التكنيكي في الزراعة الحديثة هو البرجوازية الريفية الكبيرة والصغيرة ؛ وان البرجوازية الكبيرة (كما بين ذلك كاوتسكي) تلعب دورا اهم في هذا الصدد من الدور الذي تلعبه البرجوازية الصغيرة .

-٢-

بعد وصف الملامح الرئيسية للزراعة الاقطاعية (في الفصل الثالث) ؛ وسيطرة نظام الحقول الثلاثة اكثر النظم المحافظة في الزراعة ، واضطهاد الفلاحين ونزع ملكيتهم من قبل ارستقراطية ملاك الارض الكبار، وتنظيم الزراعة الاقطاعية ــ الراسمالية من قبل الملاك الكبار ، وتحــول الفلاحين الــى فقــراء جائعيــن (Hunger leider) فــي القرنين السابع والثامن : وتطــور الفلاحيــن البرجوازيين (gross bauern) الذين لا يستطيعون تدبير شؤونهم دون عمال زراعيين منتظمين ودون عمال يومية) ، والذين كانت لاتناسبهم الاشكال القديمة مــن العلاقات الريفيــة ولا شروط امتلاك الارض ؛ وازالة هــذه الاشكال وتمهيد الطريق « للزراعة الراسمالية المكثفة » (ص ٢٦) بقــوة الطبقة البرجوازية التي تطورت مــن رحم الصناعة والمدن ــ بعد وصف كل ذلك يواصل كاوتسكي وصف « الزراعة الحديثة » (الفصل الرابع) .

ويحتوي هــذا الفصل عــلى ملخص واضــح وشامل ودقيق على نحو غير عادي للثورة الهائلة التي احدثتها الراسمالية في الزراعة عن طريق تحويل تلك الحرفة الرتيبة عند الفلاحين المسحوقين تحت وطــاة الفاقة والجهل الى تطبيق علمي للهندسة الزراعية ، وعن طريق اقلاق الكساد الطويل الامــد للزراعة ، وعن طريق اعطاء قوة دافعة (ومواصلة ذلك) للتطور

السريع لقوى انتاج العمل الاجتماعي . ولقد اخلى نظام الحقول الثلاثة three Field System السبيل لنظام المناوبة بين المحاصيل ، وتحسن رعي الماشية وصيانة التربة ، وتزايد الناتج وتطور التخصص في الزراعة وتقسيم العمل بين المزارع تطورا كبيرا. وحل محل التماثل السابق على الراسمالية تنوع متزايد مصحوب بتقدم تكنيكي في كل فروع الزراعة . ودخل استخدام المكينة في الزراعة وكذلك استخدام القوة البخارية واجتازا تطورا سريعا ، اما استخدامالكهرباء الذي يشير المختصون الى انه من المقدر ان يلعب دورا اكبر حتى من الدور الذي لعبه البخار في هذا الفرع من الانتاج فقد بدأ . ولقد بدأ استخدام الطرق المهدة وتحسين تخطيط الارض ، واستخدامالمخصبات الصناعية وفقا لتطور فسيولوجيا النبات ، وبدأ استخدام البكترويولوجيا في الزراعة . ويؤكد السيد بولجاكوف ان « معطيات* كاوتسكي غير المصحوبة

---

* يظن السيد بولجاكوف « ان كافة هذه المعطيات يمكن الحصول عليها من اي (كذا !) كتاب جيب في اقتصاديات الزراعة » . ونحن لا نشارك السيد بولجاكوف آراءه المتفائلة عن « كتب الجيب » . ولناخذ « اية » كتب من الكتب الروسية ، كتب السادة سكفورتسوف (**التجار والنقل**) أو ن. كابلوكوف (**محاضرات** تلك التي اعيد طبع **نصفها في كتاب (جديد) هو شروط تطور الاقتصاد الفلاحي في روسيا**) فلن يكون في مقدور القارىء أن يستخلص من هذا أو ذاك تصور من ذلك التحول الذي احدثته **الراسمالية** في الزراعة ، لان كليهما لم يشرع حتى عن تقديم تصور عام للانتقال من الاقتصاد الاقطاعي الى الاقتصاد الراسمالي .

بتحليل اقتصادي » لا اساس لها بالمرة . لقد بيـــن
كاوتسكي على نحو دقيق العلاقة بين هذه الثورة وبين
نمو **السوق** (وعلى الاخص نمـــو المدن) وخضـــوع
الزراعة **للمنافسة** تلـــك التـــي ادخلت التغـــيرات
والتخصصات **قسرا** . « هذه الثورة التي ترجع فـــي
اصولها الـــى رأس المـــال المدين **Urban Capital**
تزيد من اعتماد المزارع على السوق ، وبالاضافة الى
ذلك تزيد من اهمية التغيرات المستمرة فـــي احـــوال
السوق بالنسبة له . فالفرع الذي كان مربحا حين
كانت الصلة الوحيدة للسوق المحلي بالسوق العالمي
هي الطرق الرئيسية اصبح غير مربح واصبح مـــــن
الضروري ان يقضي عليه فرع اخر من الانتاج عندما
شقت السكك الحديدية طريقها عبر الاقاليم . فاذا
كانت السكك الحديدية تجلب الحبوب عـــلى سبيـــل
المثال بسعر ارخص فان انتاج الحبوب يصبح غـــير
مربح ، الا انه في الوقت ذاته ينشأ سوق جديـــــد
للالبان . ويجعل ازدياد تداول السلع من الممكن ادخال
انواع محسنة مـــن المحاصيل الـــى الريف ... الخ
(ص ٣٧ــ٣٨) . ويقول كاوتسكي : « من مرحلة
الاقطاع كانت الزراعة الوحيدة هي الزراعة الصغيرة،
لان سيد الارض كان يزرع حقوله بادوات الفلاح ،
ولكن الراسمالية اوجدت لاول مرة امكانية لانتاج كبير
في الزراعة ، وهو انتاج اكثر ترشيدا من الناحية
التكنيكية عن الانتاج الصغير » . ويفسر كاوتسكي
عند مناقشته للمكينة الزراعية ــ (ويجب ان يقـــال

بهذه المناسبة انه هو الذي حدد بدقة السمات **النوعية** للزراعة في هذا الصدد) الطابع **الراسمالي** لاستخدام المكينة ؛ ويبين تأثير المكينة **الزراعية على العمال ،** ودلالة المكينة بوصفها عامل تقدم ، ويكشف **المخططات** « الرجعية الخيالية » التي تهدف الى تقييد استخدام المكينة الزراعية . « ستواصل المكينة الزراعية نشاطها التحويلي : ستسوق العمال الريفيين الى المدن وبهذه الطريقة ستعمل بوصفها اداة قادرة لرفع الاجور في المناطق الريفية من ناحية ، وستؤدي من ناحية أخرى الى **تطور** استخدام المكينة في الزراعة » (ص ٤١) . ولنضف الى ذلك ان كاوتسكي يبين في فصول معينة بالتفصيل الطابع الراسمالي للزراعة الحديثة والعلاقة بين الانتاج الكبير والانتاج الصغير، وتحويل الفلاحين الى **بروليتاريا** . وكما نرى فان تأكيد السيو بولجاكوف ان **كاوتسكي** « لا يثير مسألة معرفة السبب في ان هذه التغيرات الباعثة على الدهشة كانت **ضرورية** » **تأكيد** غير صحيح بالمرة .

وفي الفصل الخامس (« الطابع الرأسمالي للرأسمالية الحديثة ») **يعرض** كاوتسكي نظرية ماركس عن القيمة والربح والريع . يقول كاوتسكي: « ان الزراعة الحديثة بدون **النقود** مستحيلة او — وهذا هو نفس الشيء — انها مستحيلة **بدون الراسمال** . فالواقع ان اي مبلغ من **النقود** لايستخدم بغرض **الاستهلاك** الفردي يمكن ان يتحول في ظل نمط **الانتاج** الراهن الى راسمال اي الى قيمة تنتج

فائض قيمة ، ان يتحول بصفة عامة الـــى راسمال فعلي . ومن هنا فان الانتاج الزراعي الحديث انتاج راسمالي » (ص ٥٦) . ان هذه الفقرة تمكننا على نحو عارض من ان نقوم بتقييم للعبارة التالية التـــي قالها السيد بولجاكوف : « انني استعمل هذا اللفظ (الزراعة الراسمالية) بالمعنى المعتاد (ويستخدمها كاوتسكي ايضـــا بنفس المعنى) اي بمعنى الانتـــاج الكبير في الزراعة . ولكن بالفعل (كذا !) عندمـــا ينظم الاقتصاد القومي **في مجمله** على النهج الراسمالي، فلا وجود لزراعة لا راسمالية ، فمجمل وجودها يتحدد بالشروط العامة لتنظيم الانتاج ، ومن خلال هـــــذه الحدود فحسب ينبغي التمييز بيـــن الزراعة الكبيرة زراعة المقاولين وبين الزراعة الصغيرة ، وابتغـــاء الوضوح فاننا نحتاج هنا ايضا الى مصطلح جديد » . وبهـــذه الطريقة يبـــدو ان السيد بولجاكوف **يصحح** كاوتسكي ... « ولكن بالفعل » لم **يستخدم** كاوتسكي كما يرى القارىء مصطلح « الزراعة الراسمالية » بالمعنى المعتاد غير الدقيق الـــذي يستخدمه السيـــد بولجاكوف . فكاوتسكي يفهم تمام الفهم ان الانتاج الزراعي في مجمله في ظل نمط الانتاج الراسمالي هو انتاج راسمالي « بصفة عامة » وهـــو يقول ذلـــك بوضوح تام وبايجاز تام . وتدعيما لهذا الراي يقدم هذه الواقعة البسيطة وهي ان هناك احتياجـــا فـــي الزراعة الحديثة للنقود وان النقود التـــي لا توظـــف لغرض الاستهلاك الفردي في المجتمع الحديث تصبح

راسمالا . يبدو ان ذلك اوضح **قليلا من « تصحيح »** السيد بولجاكوف وان كاوتسكي قد برهن تماما على امكانية الاستغناء عن « مصطلح جديد » .

ويؤكد كاوتسكي في الفصل الخامس ، ضمن ما يتحدث فيه ، ان نظام المزارع المستأجر الذي تطور تماما في انجلترا ، ونظام الرهن الذي يتطور بسرعة مذهلة في اوروبا القارية يعبران في جوهرهما عن عملية واحدة ومعينة بالذات هي **انفصال الارض عن الفلاح*** . وفي ظل نظام المزارع المستأجر فان هذا الانفصال يبدو واضحا كالشمس . وفي ظل نظام الرهن فان الامر « اقل وضوحا وليست الامور بهذه البساطة ، بيد انها في جوهرها تؤدي الى نفس الشيء » (ص ٨٦) .

ومن الواضح في الواقع ان رهن الارض هو رهن او بيع ريع الارض ، وبالتالي فانه في ظل نظام الرهن ، مثلما هو الحال في ظل نظام المزارع المستأجر ينفصل جباة الريع (= ملاك الارض) عن جباة الربح في المؤسسة (= المزارعون والمقاولون الريفيون). « وعموما فان دلالة هذا التأكيد عند كاوتسكي غير واضحة » بالنسبة للسيد بولجاكوف . « فمن

---

* اشار ماركس الى هذه العملية في المجلد الثالث من **راس المال** (دون ان يدرس **اشكالها** المتنوعة في مختلف البلاد)ولاحظ ان هذا الفصل لـ « الارض بوصفها اداة انتاج عن الملكية العقارية والمالك » يعتبر « أحد النتائج الرئيسية لنمط الانتاج الراسمالي » مجلد ٣ القسم الثاني ص ١٥٦ ــ ١٥٧ الترجمة الروسية ص ٥٠٩ ــ ٥١٠)

الصعوبة اعتبار ان نظام الرهن الذي يعبر عن انفصال الارض عن **المزارع** ، **قضية ثابتة** » . « فليس في الامكان اولا اثبات ان الدين يبتلع الريع **بكامله** ، فذلك غير ممكن الا بطريق الاستثناء ... » ونرد على ذلك بالاتي : لا حاجة بنا لاثبات ان فائدة ديون الرهن تبتلع الريع **بأكمله** ، كما انه لا حاجة بنا لاثبات ان **المقدار الفعلي** المدفوع ايجارا للارض يتطابق مع الريع . فمن الكافي ان نثبت ان ديون الرهن تنمو بسرعة فائقة ، وان الملاك يتجهون الى رهن كل ارضهم والى بيع الريع بأكمله . ان وجود مثل هذا الاتجاه — والتحليل الاقتصادي النظري يمكن ان يبحث فحسب في الاتجاهات وان يبحثها بصفة عامة — امر لا شك فيه . وبالتالي لا يمكن ان يكون هناك ثمة شك في عملية انفصال الارض عن المزارع . ان اجتماع جابي الريع وجابي ربح المؤسسة في شخص واحد « من وجهة النظر التاريخية استثناء » (ist historuchein ausnahme) (ص ٩١) .

« وثانيا ينبغي تحليل اسباب ومصادر الدين في كل حالة منفصلة حتى يمكن فهم مغزاها » . من المحتمل ان ذلك خطأ او زلة . فليس في مقدور السيد بولجاكوف ان يطلب من الاقتصادي (الذي يبحث علاوة على ذلك « تطور الزراعة في المجتمع الرأسمالي » بصفة عامة) ان يبحث اسباب الدين « في كل حالة منفصلة » ولا حتى انه يتوقع انه يجب ان يكون قادرا على فعل ذلك . اما اذا كان

السيد بولجاكوف يود ان يقول انه من الضروري ان يحلل اسباب الدين في مختلف البلاد في مراحل مختلفة فليس في امكاننا ان نوافقه . فكاوتسكي على حق تماما في قوله ان عديدا من المصنفات في المسألة الزراعية قد تراكمت وان المهمة الملحة للنظريةالحديثة ليست اضافة مصنفات جديدة ، بل « بحث الاتجاهات الرئيسية للتطور الرأسمالي في الزراعة في مجملها» (المقدمة ص ٦) . وضمن هذه الاتجاهات الرئيسية بلا شك انفصال الارض عن المزارع في صورة زيادة ديون الرهن .

ولقد حدد كاوتسكي بوضوح ، وعلى نحو دقيق الدلالة الواقعية للرهونات ، وطابعها التاريخي التقدمي (انفصال الارض عن المزارع ، هو أحد شروط تشريك الزراعة ص ٨٨) والدور الاساسي الذي تلعبه الرهونات في التطور الرأسمالي في الزراعة * . ان أدلة كاوتسكي جميعها عن هذا الموضوع قيمة للغاية من الناحية النظرية ، وتمدنا بسلاح فعال ضد الكلام البورجوازي المنتشر (وبخاصة في « أي كتاب جيب عن الاقتصاد الزراعي ») عن « محنة » الديون وعن « تدابير الاعانة » . ويستنتج السيد بولجاكوف

* ان الزيداة في ديون الرهن لا تعني على الدوام أن الزراعة في حالة ركود ... فتقدم وازدهار الزراعة (وكذلك انهيارها) « يجد تعبيرا عنه في ازدياد ديون الرهن — أولا بسبب الاحتياج المتزايد لرأس المال من قبل الزراعة المتقدمة ، وثانيا بسبب الزيادة من ريع الارض ، تلك التي تيسر التوسع في الائتمان الزراعي » (ص ٨٧) .

« ثالثا ان الارض المؤجرة بدورها يمكن ان ترهن ، وبهذا المعنى فانها قد تتخذ نفس الوضع الذي تتخذه الاراضي غير المؤجرة » يا لها من حجة غريبة ! هل يمكن للسيد بولجاكوف أن يدلنا على ظاهرة اقتصادية واحدة على الاقل ، أو على مقولة اقتصادية واحدة لا تتداخل مع الظواهر والمقولات الاخرى . فواقع ان هناك حالات يجتمع فيها التأجير والرهن لا يدحض ، ولا حتى يضعف القضية القائلة بأن انفصال الارض عن المزارع يتم التعبير عنه في شكلين : في نظام المزارع المستأجر وفي ديون الرهن .

ويعلن السيد بولجاكوف ايضا ان قول كاوتسكي بأن « البلاد التي ينشأ فيها نظام المزارع المستأجر هي أيضا البلاد التي تسود فيها الملكية الواسعة للارض » ص ٨٨ ، قول « مفاجىء جدا » ، و « غير صحيح البتة » .

ان كاوتسكي يتحدث في هذا الصدد عن تركز ملكية الارض (في ظل نظام المزارع المستأجر) ، وتركز الرهونات (في ظل النظام الذي يدير فيه ملاك الارض مزارعهم) بوصفها شروط تعجل الغاء الملكية الخاصة للارض . ويواصل كاوتسكي حديثه عن انه بالنسبة لمسألة تركز ملكية الارض لا وجود لاحصاءات « يمكن المرء من أن يتعقب اندماج ملكيات عديدة في يد واحدة » ، الا انه « يمكنه ان يفهم بصفة عامة » أن التزايد في عدد الايجارات وفي مساحات الارض المؤجرة يسير جنبا الى جنب مع تركز ملكية الارض .

« فالبلاد التي ينشأ فيها نظام المزارع المستأجر هي ايضا البلاد التي تسود فيها الملكية الواسعة للارض ».
من الواضح أن كلام كاوتسكي ينطبق فحسب على البلاد التي ينشأ فيها نظام المزارع المستأجر ، ولكن السيد بولجاكوف يشير الى شرق بروسيا ، حيث « يأمل في أن يبين » أن هناك تزايداً في عدد الايجارات ، جنبا الى جنب مع انهيار الملكيات الكبيرة للارض - وهو يظن انه يدحض كاوتسكي بهذا المثال الفردي! الا انه مما يدعو للشفقة أن السيد بولجاكوف ينسى أن يخبر قراءه ، بأن كاوتسكي ذاته يشير الى انهيار الملكية الواسعة في مقاطعة الالب الشرقية ، وانه عندما يقوم بذلك يفسر - كما سنبين فيما بعد - الدلالة الحقيقية لمثل هذه العمليات .

ويشير كاوتسكي الى تركز مؤسسات الرهن على انه دليل على أن تركزا لملكية الارض يجري في البلاد التي توجد فيها ديون رهن .

ويعتقد السيد بولجاكوف أن ذلك ليس دليلا ، ففي رأيه « ان الامر قد يكون ببساطة هو أن عدم تركز راس المال (نتيجة للمشاكة) يسير جنبا الى جنب مع تركز ربح المؤسسات » . حسنا ، سوف لا نناقش السيد بولجاكوف في هذا الموضوع .

- ٣ -

بعد أن يبحث كاوتسكي الملامح الرئيسية للزراعة الاقطاعية ، والزراعة الرأسمالية ، يدخل في مسألة

« الانتاج الكبير والانتاج الصغير » في الزراعة (الفصل السادس) . ان هذا الفصل من افضل فصول كتاب كاوتسكي ، وهو يبحث فيه بداية « التفوق التكنيكي للانتاج الكبير » . وعندمـــا يحسم كاوتسكي الامـــر لصالح الانتاج الكبير ، لا يقدم صيغة مجردة تتجاهل تنوع العلاقات الزراعية واختلافها (كما يفترض السيد بولجاكوف على غير اساس البتة) ، بل ان الامر عـــلى العكس ، فهو يشير بوضوح وعلى نحـــو دقيق الـــى ضرورة وضع هذا التنوع في الاعتبار من التطبيقات العملية للقانون النظري. **«وغني عن البيان»** بادىء ذي بدء أن تفوق الانتاج الكبير على الانتاج الصغـــير فـــي الزراعة يكون أمرا حتميا فحسب عندما **« تكون كافة الشروط الاخرى متساوية »** (ص ١٠٠ والتشديد من عندي) ، كما أن قانون تفوق الانتاج الكبير على الانتاج الصغير في الصناعة ليس مطلقا كما يظـــن في بعـــض الاحيان ، فتساوى **« الشروط الاخـــرى »** (التي لا توجد في الواقـــع على الدوام) هو الذي يضمـــن الانطباق التام لهذا القانون . بل أنه بالنسبة للزراعـــة التي تتميز بتعقد وتنوع أكبر في علاقاتهـــا الى حـــد لا نظير له ، تعرقل انطباق قانون تفوق الانتاج الكبـــير على الانتاج الصغير انطباقا تاما بشروط أكثر صرامـــة على نحو ملحوظ . ويلاحظ كاوتسكي بذكـــاء عـــلى سبيل المثال ، انه بالنسبة الحدود الفاصلة بين ملكية الفلاح وملكية الاقطاعي الصغير « تتحول الكمية الـــى كيفية » : فقد تكون مزرعة الفلاح الكبيرة « متفوقـــة

اقتصاديا ، ان لم تكن متفوقة تكنيكيا » على مزرعة الاقطاعي الصغير . فاستخدام مدير ذي تربية علمية (وهو أحد الميزات الهامة للانتاج الكبير) مكلف للغاية للملكية الصغيرة ، اما ادارة المالك للمزرعة بنفسه ، فهي لا تزيد في الغالب عن أن تكون ادارة «اقطاعي» ، ولن تكون بأية حال ادارة علمية .

ثانيا : يتفوق الانتاج الكبير على الانتاج الصغير في حدود معينة فحسب ، ويبحث كاوتسكي هذه الحدود ، فيما بعد على نحو تام . وانه لمن نافلة القول ان هذه الحدود تختلف في الفروع المختلفة للزراعة ، وتختلف في ظل شروط اقتصادية ــ اجتماعية مختلفة .

ثالثا : ان كاوتسكي لا يجهل على الاقل انه « الى الآن » هناك فروع للزراعة يمكن أن ينافس فيها الانتاج الصغير الانتاج الكبير ، على سبيل المثال زراعة الخضر ، وزراعة الكروم والمحاصيل الصناعية . الخ (ص ١٦٥) . الا أن هذه الفروع تحتل مركزا ثانويا بالنسبة للفروع الحاسمة في الزراعة (entacheidenden) على الاخص انتاج الحبوب وتربية الحيوان ، وعلاوة على ذلك فانه « حتى في زراعة الخضر وزراعة الكروم ، هناك الآن مؤسسات كبيرة ناجحة الى حد ما » ص ١١٥ . ومن هنا « فاننا عندما نتناول الزراعة فيمجملها (in Algemeinen) فان الفروع التي يتفوق فيها الانتاج الصغير على الانتاج الكبير (يمكن اغفالها) ، ومن الجائز تماما أن

نقول أن الانتاج الكبير يتفوق بلا ريب على الانتاج الصغير » (ص ١١٦) .

بعد أن برهن كاوتسكي على التفوق التكنيكي للانتاج الكبير في الزراعة (وسوف نقدم أدلة كاوتسكي بتفصيل اكبر عند مناقشة اعتراضات السيد بولجاكوف فيما بعد) ، يتساءل كاوتسكي : « ما الذي يستطيع الانتاج الصغير أن يقدمه في مواجهة منافع الانتاج الكبير » ، ويجيب على ذلك بأنه « الداب المتزايد والعناية الزائدة للعامل الذي يعمل لنفسه على خلاف العامل بالاجر ، وكذلك المستوى المنخفض لاحتياجات المزارع الصغير المستقل ، التي تعتبر أكثر انخفاضا ، حتى عن احتياجات العامل الزراعي » (ص ١٠٦) . ان كاوتسكي بتقديمه عددا من الوقائع المدهشة المتعلقة بوضع الفلاحين في فرنسا وانجلترا والمانيا لا يدع مجالا للشك ايا كان بالنسبة « للعمل الزائد والاستهلاك المنخفض في الانتاج الصغير » . واخيرا يشير الى أن تفوق الانتاج الكبير يجد تعبيرا عنه أيضا في سعي المزارعين لتكوين **الجمعيات** : « فالانتاج المجمع انتاج كبير » ، والضجة التي يثيرها ايديولوجيو البرجوازية الصغيرة عموما والشعبيون الروس خصوصا (وعلى سبيل المثال كتاب كابلوكوف السالف الذكر) ، عن جمعيات صغار المزارعين معروفة . لذا فان تحليل كاوتسكي الممتاز لدور هذه الجمعيات يعتبر هاما للغاية . وبطبيعة الحال فان جمعيات صغار المزارعين تعتبر احدى حلقات التقدم الاقتصادي ،

ولكنهـــا تعبـــر عـــــن **انتقـــال للراسماليـــة لا نحو الجماعية** (Fortschritt zum Capitalismus) كما قد يظن البعض أو يؤكدذلك(ص ١١٨). فالجمعيات لا تقلل بل تعزز تفوق (Vorsprung) الانتاج الكبير على الانتاج الصغير في الزراعة ، لان كبـــار المزارعين يتمتعون بفرص أكبر لتشكيل الجمعيات ، ولاغتنـــام منفعة أكبر من هذه الفرص . وغني عـــن البيان ان كاوتسكي يؤكد باصرار على ان الانتــــاج الجمـــاعي والمشاعي الكبير يتفوق على الانتاج الراسمالي الكبير .

وببحث التجارب في الزراعة الجماعية التي قام بها في انجلترا اتباع أوين * والمشاعيات المشابهة فـــي ولايات اميركا الشمالية المتحدة ، ويقول كاوتسكي أن كل هذه التجارب **تبرهن على نحو لا يدحض** على انـــه من الممكن تماما بالنسبة للعمال أن ينجـــزوا زراعـــة حديثة كبيرة بصورة جماعية ، ولكن لكي تصبح هـــذه الامكانية واقعا ، فان هنـــاك « عـــددا مـــن الشروط الاقتصادية والسياسية والعقلية المحددة » ضرورية. ان انتقال المنتج الصغير (كل مـــن الحرفي والفلاح) للانتاج الجماعي يعرقله النمو المتدني للغاية للتضامن والانتقام ، وكذلك العزلة و « تعصب مـــلاك العقار » الذي لا يلاحظ بين الفـــلاحين في أوروبـــا الغربيـــة

---

* يصف كاوتسكي في الصفحات ١٢٤ ــ ١٢٦ المشاعية الزراعية في رالاهين Relahine التي اخبر بها السيد ديو نيوى M. Dioneo قراءه الروس بالمصادفة في «روسكوي بوجاتستفو» ٥١ عدد ٢ من هذا العـــام .

فحسب ، بل ـ ولنضف الى ذلك ـ يلاحظ ايضا بين فلاحي « المشاعية » الروس (ولنعد الى الاذهان أ. ن. انجلهـــارت Engelhardt و. ج. أوسبنسكي) . ويصرح كاوتسكي على نحو قاطع بأنه « من العبث توقع ان الفلاح في **المجتمع الحديث** سوف يعود للانتاج المشاعي » (ص ١٢٩) .

هذا هو المضمون الثري للفصل السادس من كتاب كاوتسكي . ان السيد بولجاكوف يعرب عن استيائه بالذات من هذا الفصل . ويقال لنا ان كاوتسكي قد اقترف « خطيئة أصلية » ، خطيئة الخلط بين مفاهيم متباينة ؛ « فالمنافع التكنيكية تخلط بالمنافع الاقتصادية » ، وان كاوتسكي « ينطلق من الافتراض الزائف القائل بأنه كلما كان نمط الانتاج اكثر اكتمالا **تكنيكيا** كلما كان اكثر اكتمالا **اقتصاديا** أيضا ، أي اكثر حيوية » . ان عبارة السيد بولجاكوف التوكيدية لا أساس لها على الاطلاق ، وهو ما نود أن نقنع القارىء به عن طريق عرض تسلسل مناقشة كاوتسكي ، فكاوتسكي يبحث على نحو صحيح ـ دون أن يخلط أدنى خلط بين التكنيك والاقتصاد * مسألة العلاقة بين الانتاج الكبير والانتاج

---

* الشيء الوحيد الذي امكن للسيد بولجاكوف أن يقتطفه تدعيما لزعمه هو **العنوان** الذي دفعه كاوتسكي للجزء الاول من الفصل السادس : « (١) التفوق **التكنيكي** للانتاج الكبير » ، على الرغم من أن هذا الفصل يبحث في كل المنافع التكنيكية والاقتصادية للانتاج ←

الصغير في الزراعة ، **والشروط الاخرى تكون متساوية** في ظل نظام الانتاج الرأسمالي . **ويشير كاوتسكي – في الجملة الافتتاحية للقسم الاول من الفصل السادس – على نحو دقيق لهذه الصلة بين مستوى تطور الرأسمالية ودرجة قابلية قانون تفوق الانتاج الكبير للانطباق بصفة عامة** . « كلما أصبحت **الزراعة رأسمالية ، كلما طورت الاختلاف الكيفي بين** تكنيكات الانتاج الصغير والانتاج الكبير » ص ٩٢ ،

الكبير . ولكنه لا يبرهن ذلك ان كاوتسكي يخلط التكنيك بالاقتصاد ؟ أو اذا شئنا الدقة في التعبير ، أن مسألة ما اذا كان عنوان كاوتسكي دقيقا مسألة لا زالت موضع بحث . لقد كان الامر أن كاوتسكي كان يهدف الى المقابلة بين محتوى التسمية الاول والثاني من الفصل السادس : من القسم الاول (١) يتناول التفوق التكنيكي للانتاج الكبير في الزراعة الرأسمالية ، وهو يذكر في هذا الصدد على سبيل المثال بالاضافة للمكينة الائتمان . وهو « نوع خاص من التفوق التكنيكي » ، كما يقول السيد بولجاكوف ساخرا ، ولكن من يضحك اخيرا يضحك كثيرا (بالفرنسية في الاصل – المترجم) . **الق نظرة عامة على كتاب كاوتسكي** ، وسوف ترى انه يضع في اعتباره بصورة مبدئية التقدم الذي تم احرازه في **تكنيك** العمل الائتماني (وبالاضافة الى ذلك في تكنيك التجارة) ، وهو ما يناسب المزارع الكبير **فحسب** ، ومن ناحية أخرى يقارن في القسم الثاني من الفصل (ب) بين كمية العمل المبذول ومعدل استهلاك العمال في الانتاج الكبير ، وبين أولئك الذين يعملون في الانتاج الصغير . ونتيجة لذلك يبحث كاوتسكي في هذا القسم **الفرق الاقتصادي الصرف** بين الانتاج الصغير والكبير . **فاقتصاد** الائتمان والتجارة واحد بالنسبة لكليهما ، ولكن التكنيك هو الذي يختلف .

وهذا الاختلاف الكيفي لا يوجد في الزراعة السابقة على الرأسمالية . ما الذي يمكن قوله اذن عن هذا اللوم الصارم الذي يعامل به السيد بولجاكوف كاوتسكي : « في الواقع لا بد من وضع المسألة كالتالي : ما هي الاهمية التي يمكن ان تشمل عليها – في المنافسة بين الانتاج الكبير والانتاج الصغير – اي من هذه السمات النوعية لان من هذه الاشكال في الانتاج في ظل الظروف الاجتماعية الاقتصادية الراهنة ؟ » . ان هذا « التصحيح » يحمل نفس الطابع الذي يحمله التصحيح الذي ناقشناه من قبل.

ولننظر الان كيف دحض السيد بولجاكوف ادلة كاوتسكي على التفوق التكنيكي للانتاج الكبير في الزراعة . يقول كاوتسكي : « من أكثر السمات أهمية التي تميز الزراعة عن الصناعة ، هو انه في الزراعة يرتبط الانتاج بالمعنى الصحيح للكلمة (مؤسسة اقتصادية wirtschaft shetrib) عادة بأهل المنزل (Haushalt) ، على حين أن الامر ليس كذلك في الصناعة » . أما أن الاسرة الاكبر تتفوق على الاسرة الصغيرة من توفير العمل والخامات ، فان ذلك أمر يكاد لا يحتاج الى برهان ... فالاولى تشتري (لاحظ ذلك – لينين) « الكيروسين والشيكوريا والسمن الصناعي بالجملة ، أما الاخيرة فتشتري هذه الادوات بالتجزئة الخ » (ص ٩٣) . و « يصحح » السيد بولجاكوف « ان كاوتسكي لا يقصد القول ان ذلك أكثر

نفعا تكنيكيا ، بل انه أقل تكلفة ! » ... اليس من الواضح في هذه الحالة (مثلما هو الامر في غيرها) ان محاولات السيد بولجاكوف لـ « تصحيح » كاوتسكي كانت محاولات عاثرة الحظ ؟. ويواصل هذا الناقد القاسي كلامه : « ان هذه الحجة في حد ذاتها مشكوك فيها ، لانه في ظل ظروف معينة قد لا تتضمن قيمة المنتج قيمة الاكواخ المبعثرة ، على حين أن قيمة المنزل المشترك تتضمنها ، حتى مع الفائدة المضافة . وهذا يعتمد أيضا على ظروف اجتماعية اقتصادية معينة ، التي ينبغي بحثها ، ولا ينبغي بحث تفوق المنافع التكنيكية للانتاج الكبير على الانتاج الصغير»... ان السيد بولجاكوف ينسى في المقام الاولي أمرا بسيطا ، وهو أن كاوتسكي بعد مقارنة أهمية الانتاج الكبير بالنسبة للانتاج الصغير ، في **حين تكون كل الشروط الاخرى متساوية** ، بمعنى في بحث هذه الشروط بالتفصيل ، وبالتالي فان السيد بولجاكوف يود أن يخلط أمورا مختلفة ببعضها . وثانيا كيف لا تدخل قيمة أكواخ الفلاحين في قيمة المنتج ؟ ان ذلك يكون بسبب أن الفلاح « لا يحسب » قيمة الحسب الذي يستخدمه ، أو العمل الذي ينفق في بناء واصلاح كوخه . وطالما أن الفلاح لا زال يمارس الاقتصاد الطبيعي فانه قد « لا يحسب » بطبيعة الحال عمله ، وليس هناك أي مبرر للسيد بولجاكوف في أنه لم يخبر قراءه أن كاوتسكي أشار الى ذلك بوضوح وبدقة في صفحات ١٦٥ ــ ١٦٧ من كتابه

ولكننا الان نناقش « الشرط الاقتصادي الاجتماعي » للراسمالية لا الاقتصـــاد الطبيعي أو الانتـــاج السلعي البسيط . ففي ظل شروط الانتاج الراسمالي يعني « الا تحسب » عمل المرء ، أن تعمل في سبيل لا شيء (في سبيل التاجر أو الراسمالي الاخـــر) ، يعني أن تعمل في سبيل تعويض ناقص في مقابل قوة العمـــل المبذولة ، الا يعني ان تخفـــض مستوى الاستهـــلاك لمستوى أكثر انخفاضا .

كما راينا فان كاوتسكي قد اعترف تمامالاعتراف بهذه السمة المميزة للانتاج الصغير وقيمها على نحو صحيح . ان السيد بولجاكوف يكرر — في اعتراضه على كاوتسكي — الحيلة المعتادة والخطـــأ المعتـــاد للاقتصاديين البورجوازيين والبورجوازيين الصغار . فهؤلاء الاقتصاديين قـــد اصموا اذاننا بالحديث عـــن « حيوية » الفلاح — على حد قولهم — الى حساب عمله الخاص والى الجري وراء الربح والريع وهلـــم جرا . ان هؤلاء القوم الطيبين قد نسوا فحسب ان هذه الحجج تخلـــط بيـــن « الشروط الاجتماعيـــة الاقتصادية » للاقتصاد الطبيعي ، الانتاج السلعـــي البسيط ، وبين الراسمالية . لقد بين كاوتسكي هذه الاخطاء على نحو رائع ووضع تفرقة دقيقة بين النظم المختلفـــة للعلاقات الاجتماعيـــة الاقتصادية . يقـــول كاوتسكي : « اذا لم يجتذب الانتـــاج الزراعي للفلاح الصغير الى مجال الانتاج البضاعي واذا كان فحسب

جزءا مـــن الاقتصاد الاسري house holdeconomy فانه يظل بعيدا ايضا عن ان يكون مجالا للاتجاهات المركزة لنمط الانتاج الحديث . ومهما كان اقتصاده المفتت غير مرشد ، ومهما كان ضياع الجهد الـــذي **يؤدي اليه ، فانه يتشبث به باحكام ، تماما كما تتشبث زوجته باقتصادها المنزلي البائس ، وهو ما يؤدي على نحو مشابه الى عواقب وخيمة لا حصر لها مع انفاق متزايد لقوة العمل ، ولكنه يمثل المجال** الوحيد الذي لا يخضع فيه لسيطرة اخرى **والتحرر** من الاستغلال » ص ١٦٥ . **ويتغير الوضع عندما** يحل الاقتصاد البضاعي محـــل الاقتصاد **الطبيعي** ويتعين على الفلاح عندئذ ان يبيـــع منتجه **ويشتري** ادوات **ويشتري ارضا** . وطالما ظل الفلاح **منتج سلع بسيط** ، **فانه** يمكن ان يقنع بمستوى حياة العامـــل **بالاجر** ، **فهو لا يحتاج** للربح او الريع ، ويمكنه ان **يدفـــع ثمنا مرتفعا للارض** اكبر ممـــا يدفعـــه المقاول **الراسمالي (ص ١٦٦)** . ولكن الانتاج الراسمالي **يحل محل الانتاج البضاعي البسيط** . فاذا رهـــن **الفلاح ارضه ــ على سبيل المثال ــ** فانـــه يحصل **ايضا على الريع الذي باعه للدائن** . في هذه المرحلة من التطور **فحسب يمكن** اعتبار الفلاح من الناحية الشكلية **منتجا سلعيا بسيطا ، فهو يتعامل** في الواقع عادة مع الراسمالي ــ الدائن ، التاجر ، المقـــاول الصناعي ــ الذي يبحث عنده عن « عمل اضافي » او بعبارة اخرى الذي ينبغي عليه ان يبيعه قوة عمله.

في هذه المرحلة ــ وكاوتسكي (ونكرر ذلك) يقارن بين الزراعة الصغيرة والزراعة الكبيرة في المجتمع الرأسمالي ــ تعني امكانية « الا يحسب » الفلاح « عمله » شيئا واحدا فحسب بالنسبة له ــ على وجه التخصيص ــ ان يجهد نفسه حتى الموت وان يواصل تخفيض استهلاكه .

وتعادل الاعتراضات الاخرى التي يثيرها السيد بولجاكوف هذا الاعتراض في عدم الصحة . ويقول كاوتسكي ان الانتاج الصغير يسمح باستخدام المكينة في حدود أضيق ، ان المالك الصغير يكتشف انالائتمان صعب المنال ومكلف . ويعتبر السيد بولجاكوف ان هذه الادلة زائفة ويرجعنا الى الجمعيات الفلاحية ! وهو يتجاهل الدليل الذي قدمه كاوتسكي بالكامل ، وهو الذي قدمنا تقييمه لهذه الجمعيات واهميتها في موضع سابق . وفي موضوع المكينة يوبخ السيد بولجاكوف كاوتسكي مرة اخرى لانه لم يثر « المسألة الاقتصادية الاكثر عمومية » : ما هو دور المكينة ــ اجمالا ــ في الزراعة (ان السيد بولجاكوف ينسى الفصل الرابع من كتاب كاوتسكي !) وهل هي حتمية كأداة في الزراعة مثلما هو الحال في الصناعة المعملية ؟ « لقد اشار كاوتسكي بوضوح الى الطبيعة الرأسمالية لاستخدام المكينة في الزراعة الحديثة (ص ٣٩ ، ٤٠ ، وما يليها) ، ولاحظ السمات النوعية للزراعة التي تشكل «عائقا اقتصاديا وتكنيكيا» في سبيل استخدام المكينة في الزراعة (ص ٣٨ وما

يليها)، ويورد البيانات عن الاستخدام المتنامي للمكينة (ص ٤٠) ، وعن اهميتها التكنيكية (٤٢ وما يليها) وعن دور البخار والكهرباء . واشار كاوتسكي الى حجم المزرعة الضروري — وفقا لمعطيات الاقتصاد الزراعي لانجاز اقصى استخدام لمختلف الماكينات (٩٤) واشار الى انه وفقا للاحصاء الالماني في ١٨٩٥ ازداد استخدام المكينة بثبات وسرعة من المزارع الصغيرة الى المزارع الكبيرة (٢٪ في المزارع التي تزيد عن هكتارين ، ١٣ر٨٪ في المزارع التي من ٢ الى ٥ هكتار ، ٤٥ر٨٪ في المزارع من ٥ الى ٢٠ هكتار ، ٧٨ر٨٪ في المزارع من ٢٠ الى ١٠٠ هكتار، ٩٤ر٢٪ في المزارع من ١٠٠ هكتار فاكثر) وبدلا من هذه البيانات كان ينبغي على السيد بولجاكوف ان يفضل الادلة « العامة » عن « عدم طواعية » او طواعية الآلات !..

ويقول السيد بولجاكوف : « ان القول بان عددا اكبر من حيوانات الجر بالنسبة للهكتار يستخدم في الانتاج الصغير قول غير مقنع ... لان الكثافة النسبية لتربية الحيوانات في المزرعة .. لم تدرس». ونحن نفتح كتاب كاوتسكي على الصفحة التي تتضمن هذا القول ونقرأ الاتي : « ان عدد الابقار الكبير في المزرعة الصغيرة (بالنسبة لـ ١٠٠٠ هكتار) تتحدد ايضا الى مدى ليس بالقليل بواقع ان الفلاح اكثر انشغالا بتربية الحيوانات واقل انهماكا في انتاج الحبوب من المزارع الكبير ، ولكن ذلك لا يفسر الفرق

في عدد الحيوانات المرباة » (ص ٩٦ ويستشهد فيها ببيانات عن سكسونيا في ١٨٦٠ ، وعن المانيا في مجملها في ١٨٨٣ وعن انجلترا في ١٨٨٠) . ونحن نذكر القارىء بواقع ان احصاءات الادارات المحلية في روسيا تكشف عن نفس القانون الذي يعبر عن تفوق الزراعة الكبيرة على الزراعة الصغيرة ... فمزارع الفلاح الكبير تعمل بعدد اقل من الماشية والادوات بالنسبة لوحدة الارض* ان السيد بولجاكوف يقدم عرضا أبعد من ان يكون مكتملا لادلة كاوتسكي عن تفوق الانتاج الكبير على الانتاج الصغير في الزراعة الرأسمالية . وتفوق الزراعة الكبيرة لا يكمن فحسب في واقع ان هناك فاقة اقل في المساحة المزروعة ، ووفرا في الدواب والادوات ، واقصى استخدام للادوات ، وامكانيات اوسع لاستخدام الميكنة ، وفرصا اكبر للحصول على الائتمان ، بل يكمن ايضا في التفوق التجاري للانتاج الكبير واستخدام مديرين مدربين على احدث التدريبات العلمية (كاوتسكي ص ١٠٤) . والزراعة الكبيرة تستفيد بتعاون العمال وتقسيم العمل الى مدى أبعد . ولقد علق كاوتسكي أهمية خاصة على التربية العلمية والاقتصادية للمزارع « فالمزارع الذي تلقى تربية علمية صحيحة ، لا يمكن

---

* انظر ف. ي. بوستنيكوف ، الزراعة الفلاحية في جنوب روسيا. قارن ف. ايلين تطور (peasant farming in Russia) الرأسمالية الفصل (٢) قسم (١) (انظر الطبعة الحالية المجلد الثالث — الناشر) .

ان يوظف الا في مزرعة كبيرة بما فيه الكفايةلتستوعب اعمال الادارة والاشراف فيها قوة عمل الشخص بالكامل » (ص ٩٨ : « حجم هذه المزارع يختلف تبعا لنمط الانتاج » من ثلاثة هكتارات من الكروم الى ٥٠٠ هكتار من الزراعة الكثيفة) . ويذكر كاوتسكي في هذا الصدد ذلك الواقع الهام والمميز للغاية وهو ان انشاء مدارس زراعية اولية وثانوية يعود بالنفع على المزارع الكبير لا على الفلاح من خلال امداد هؤلاء المزارعين الكبار بالمستخدمين (نفس الشيء ملحوظ في روسيا) . « والتعليم العالي المطلوب لانتاج مرشد تماما لا يكاد يتفق مع الظروف الراهنة التي يحياها الفلاح وهذه ادانة بالطبع لشروط حياةالفلاحين لا للتعليم العالي . انه يعني فحسب ان الانتاج الفلاحي يمكنه ان يحيا جنبا الى جنب مع الانتاج الكبير ، لا بسبب انتاجيته المرتفعة بل نظرا لمتطلباته الاكثر انخفاضا (ص ٩٩) . والانتاج الكبير لا بد له من الا يستخدم العمال من الفلاحين فحسب بل ان يستخدم ايضا العمال من المدن ، ذوي المتطلبات الارقى في مستواها بما لا يقارن بمتطلبات الفلاحين.

ويسمي السيد بولجاكوف البيانات الهامة والمفيدة للغاية التي يوردها كاوتسكي للبرهنة على « العمل الزائد والاستهلاك المنخفض في الانتاج الصغير » بانها استشهادات قليلة (!) وعرضية (؟؟) . ان السيد بولجاكوف « يحمل على عاتقه » الاستشهاد بالمثل « باستشهادات ذات طبيعة مضادة » وهو ينسى

فحسب ان يقول لنا ايضا ما هو **التأكيد المضاد** الذي سوف يبرهن عليه عن طريق « الاستشهادات ذات الطبيعة المضادة » .. هذا هو كل ما في الامر ! هل يحمل السيد بولجاكوف على عاتقه التأكيد بان الانتاج الكبير في المجتمع الرأسمالي يختلف عن الانتاج الفلاحي في سيادة العمل الزائد والاستهلاك المنخفض لعماله ؟ ان السيد بولجاكوف حذر للغاية من ان يقع في مثل هذا التأكيد المضحك . فهو يعتبر انه من الممكن تفادي حقيقة العمل الزائد والاستهلاك المنخفض للفلاحين بملاحظة انه « في بعض المواضع يعتبر الفلاحين في رخاء ، وفي مواضع اخرى يعتبرون فقراء » ! ما الذي يمكننا قوله للاقتصادي الذي بدلا من ان يعمم البيانات عن وضع الانتاج الصغير والانتاج الكبير يشرع في بحث الاختلاف في « رخاء » السكان في « المواضع » المختلفة ؟ ما الذي في امكاننا قوله للاقتصادي الذي يتهرب من العمل الزائد والاستهلاك المنخفض للحرفيين بالمقارنة مع عمال المدن ، بملاحظة انه « في بعض المواضع يعتبر الحرفيين في رخاء وفي بعض المواضع الاخرى يكونون فقراء ؟ وبهذه المناسبة هناك كلمة عن الحرفيين . يكتب السيد بولجاكوف قائلا : « من الواضح ان كاوتسكي يقيم توازيا عقليا مع الصناعة المنزلية (hausindustrie) حيث لا توجد حدود تكنيكية للعمل الزائد (كما هو الحال في الزراعة) ولكن هذا التوازن غير مناسب في هذا الصدد » .

ونجيب على ذلك بانه من الواضح ان السيد بولجاكوف لم يكن منتبها على نحو مدهش للكتاب الذي ينقده لان كاوتسكي « لم يقيم بصورة عقلية توازيا » مع الصناعة المنزلية بل **اشار الى ذلك على نحو مباشر وعلى وجه الدقة في الصفحة الاولى ذاتها من هذا القسم من الفصل** ، الذي يعالج مسألة العمل الزائد (الفصل السادس ، ب٢ ص ١٠٦) « مثلما هو الحال في الصناعة المنزلية (hausindustrie) فان عمل اطفال الاسرة في المزرعة الفلاحية الصغيرة اكثر ضررا حتى من العمل الذي يقوم به الاخرون بالاجر » ، ومهما حكم السيد بولجاكوف مؤكدا ان التوازي غير مناسب في هذا الصدد ، فان رأيه رغم ذلك خاطىء . ويقول السيد بولجاكوف بانه في الصناعة ليس للعمل الزائد حدود تكنيكية ، ولكن بالنسبة للفلاحين فانه « محدود بالشروط التكنيكية للزراعة » . ان القضية التي تنشأ عن ذلك في الواقع هي من الذي يخلط التكنيك بالاقتصاد كاوتسكي ام السيد بولجاكوف ؟ ما الذي يفعله تكنيك الزراعة او الصناعة المنزلية بالنسبة لهذه الحالة التي تبرهن فيها الوقائع على ان المنتج الصغير في الزراعة وفي الصناعة يسوق اولاده للعمل في سن مبكرة ، وانه يعمل اكبر عدد من ساعات اليوم ، ويحيا « بأقل القليل » ويخفض متطلباتهم الى ذلك المستوى الذي يبدو في هذا البلد المتحضر كما لو كان « بربريا » حقيقيا (تعبير ماركس) ؟ هل يمكن انكار التجانس

الاقتصادي لهذه الظواهر في الزراعة والصناعة على اساس ان الزراعة تتميز بعدد كبير من السمات النوعية (التي لا يغفلها كاوتسكي بتاتا) ؟ ويقول السيد بولجاكوف: « ان الفلاح الصغير ليس في امكانه ان يقضي في العمل اكثر مما يتطلبه حقله حتى لو اراد ذلك » . ولكن الفلاح الصغير يمكنه ان يعمل بل ويعمل بالفعل ١٤ ساعة لا ١٢ ساعة في اليوم ، ويمكنه ان يعمل وهو يعمل بكثافة تفوق المعتاد تؤدي الى انهاك اعصابه وعضلاته على نحو اسرع من الكثافة العادية. وعلاوة على ذلك ، يا له من تجريد غاية في التجريد ان يختزل عمل الفلاح في مجمله الى عمله في الحقل! ولن تجد شيئا شبيها بذلك في كتاب كاوتسكي . فكاوتسكي يعرف على نحو جيد تماما ان الفلاح يعمل أيضا في منزله ، يعمل في بناء وأصلاح كوخه ، وحظيرة الماشية ، والادوات ... الى اخره ، « ولا يحسب » هذا العمل الاضافي ، الذي يطلب العامل بالاجر في المزرعة الكبيرة مقابل له بالمعدل المعتاد . أليس من الواضح بالنسبة لكل شخص غير متحيز ان العمل الاضافي له **حدود اوسع او مع بما لا يقارن** بالنسبة للفلاح — بالنسبة للمزارع الصغير — اكبر مما بالنسبة للمنتج الصناعي اذا كان كذلك **فحسب؟** ان العمل الاضافي المزارع الصغير قد تمت البرهنة عليه على نحو اخاذ بوصفه ظاهرة عامة بواقع ان الكتاب البورجوازيين يستشهدون بالاجماع بـ « كدح » و« تدمير » الفلاح ويتهمون العمال بـ « التراخي »

و« التبذير » .

ويقول احد الباحثين في حياة السكان الريفيين في فستفاليا – Westphalia – الذي استشهد بـه كاوتسكي – ان الفلاحين الصغـار يجعلون اطفالهم يعملون عملا اضافيا الى حـد ان نموهم الجسماني يتوقف ؛ ان العمل بالاجر ليست له مثل هذه الجوانب الضارة . ولقد صرح مزارع صغير من لينكو منشاير بالآتي الـى اللجنة البرلمانية التي بحثـت الاوضاع الزراعية في انجلترا (١٨٩٧) : « لقـد رعيت عائلة وعملوا الى حـد الموت تقريبا » . وقال مزارع اخر : « انا واولادي نعمل لمدة ثمانية عشر سـاعـة يوميـا لعدة ايام ونعمل بمعـدل مـن عشر الى اثني عشر ساعة طوال العام » . وقال ثالث : « نحـن نعمـل بصورة اشق من العمال ، نعمل في الواقع كالعبيد».

ووصف السيد ريد للجنة ذاتها ظروف المزارع الصغير في المقاطعات التي تسود فيها الزراعة بالمعنى الدقيق للكلمة على النحـو التالي : « ان الطريقـة **الوحيدة التي يمكنه بها ان يكون موفقا هي ان يقوم** بعمل اثنين من العمال الزراعيين ويحيا بنفقة عامـل واحد ... **اما فيما يتعلق باسرته ، فانهم في وضع تعليمي منحط ويعملون بصورة اشق من اطفال العمال** الزراعيين » (اللجنة الملكية عن الزراعة ، تقريـر نهائي ص ص ٣٤ ، ٣٥٨ . استشهد به كاوتسكي ص ١٠٥) . هل سيؤكد السيد بولجاكوف ان ليس اقل تكرارا ان العامل المياوم يعمل عمل اثنين مـن

الفلاحين ؟ انه لواقع متميز عـلى نحو خاص ذلك الواقع الذي استشهد به كاوتسكي والذي يبين ان « فن الجوع عند الفلاح (hunger kunst) قـد يؤدي الى التفوق الاقتصادي للانتاج الصغير » . فقد بينت مقارنة عن ربحية مزرعتين فلاحيتين فـي بادن عجزا ٩٣٣ مارك في احداهما ، **المزرعة الكبيرة** ، وزيادة ١٩١ مارك في الاخرى التي كانت فـي **نصف حجم** الاولى فقط . ولكن المزرعة الاولى التي يقوم بتدبير شؤونها العمال بالاجر ، كانت تقوم بتغذية هؤلاء الاخيرين تغذية تامة ، بتكلفة تقترب من مارك (حوالي ٤٥ كوبيك) بالنسبة للشخص يوميا . على ان المزرعة الاصغر كان يدير شؤونها فحسب افراد العائلة (الزوجة والاطفال الستة الكبار) الذين **تتكلف** تربيتهم **نصف القدر** الذي انفق على العمال المياومين : ٤٨ منتج للشخص في اليوم . ولو كانت عائلة الفلاح الصغير قد تغذت بنفس القدر الذي تغذى به العمال بالاجر من قبل الفلاح الكبير ، فان الفلاح الصغير كان سيعاني من عجز ١٢٥٠ مارك ! « ان فائضه قد اتى ، لا من امتلاء مخزنه بالحبوب ، بل من معدته الفارغة » . ويا له من عدد هائل من الامثلة المشابهة الذي يمكن اكتشافه اذا عقدت مقارنة بين « ربحية » المزارع الصغير ، والمزارع الكبير ، مصحوبة بحساب لاستهلاك وعمل

الفلاحين والعمال بالاجر* . وفي هذا الصدد هناك حساب اخر للربح الاكبر لمزرعة صغيرة (٤ر٦ هكتار) بالمقارنة مع مزرعة كبيرة (٥ر٢٦ هكتار) ، حساب قامت به احد المجلات المتخصصة . ويتساءل كاوتسكي ولكن كيف تم الحصول على هذا الربح الاكبر ؟ ان ما يجري هو ان الفلاح الصغير يعاونه اطفاله . يساعدونه منذ ان يشرعوا في المشي ، على حين ان الفلاح الكبير يتعين عليه ان ينفق المال على اطفاله (المدرسة ، **المدرسة الثانوية**) في المزرعة الصغيرة حتى العجائز الذين يتجاوزون السبعين عاما «يقومون بعمل العامل الفتى » . ان العامل المياوم العادي ، وعلى الاخص في مزرعة كبيرة ، يقوم بعمله ويفكر في نفسه : « اتمنى لو ينتهي الوقت » . لكن الفلاح الصغير في كل الاحوال في كافة الفصول التي يشتغل فيها يفكر في نفسه : « آه ، لو ان اليوم أطول بساعة او ساعتين » . ويقول مؤلف هذه المقالة في المجلة الزراعية بطريقة وعظية ان المنتجين الصغار يستغلون وقتهم افضل استغلال في فصول الانشغال: « فهم يستيقظون في وقت مبكر ، ويعودون في وقت متأخر ، ويعملون بسرعة اكبر ، على حين ان العمال الذين يستخدمهم المزارع الكبير لا يرغبون في الاستيقاظ مبكرا او الذهاب الى البيت في وقت متأخر،

* تارن ف. ايلين تطور الراسمالية في روسيا ص ١١٢ ، ١٧٥ ، ٢٠١ (انظر الطبعة الحالية مجلد ٣ ص ١٦٨ — ١٧٠ ، ١٤٤ — ٢٤٦ ، ٢٧٣ — ٢٧٥ — الناشر) .

والعمل على نحو اشق مما يعملون في اوقات اخرى » . ان الفلاح يمكنه الحصول على دخل صافي بفضل الحياة « البسيطة التي يحياها : يعيش في كوخ من الطين اقيم اساسا بعمل عائلته ، وزوجته تزوجت منذ سبعة عشر عاما ولم تنل سوى زوج واحد من الاحذية ، وهي تمشي في العادة حافية او تلبس قبقابا ، وهي تصنع ملابس كافة افراد العائلة. ويتكون غذاؤهم من البطاطس والبن وفي المناسبات الرنجة . ويدخن الزوج البايب في ايام الاحاد فحسب » . ان هؤلاء الناس لا يدركون انهم يحيون حياة بسيطة للغاية ولا يبدون استياءا من وضعهم... وباتباعهم لهذه الطريقة البسيطة في الحياة يحصلون على فائض قليل تقريبا في كل عام من مزرعتهم » .

وبعد ان ينتهي كاوتسكي من تحليله للعلاقات المتبادلة بين الانتاج الصغير والانتاج الكبير فيالزراعة الرأسمالية يمضي في القيام ببحث خاص لـ « حدود الزراعة الرأسمالية » (الفصل السابع) . ويقول كاوتسكي ان الاعتراض على النظرية القائلة بان الزراعة الكبيرة تتفوق على الزراعة الصغيرة يثيره بصفة رئيسية « اصدقاء الانسانية » (ونحن نقول عنهم في غالب الاحيان اصدقاء الشعب ...) من البرجوازية ، التجار الاحرار الخالصون، والزراعيون. ويدافع عدد من الاقتصاديين في الوقت الراهن عن الزراعة الصغيرة والاحصاءات التي يستشهد بها في العادة هي تلك التي تبين ان المزارع الكبيرة لا تستبعد

المزارع الصغيرة . ويستشهد كاوتسكي بالاحصاءات الاتية : في المانيا من ١٨٨٢ الى ١٨٩٥ ، وكانت توجد مساحات ازداد فيها حجم المزارع المتوسطة الحجم ؛ وفي فرنسا ١٨٨٢ الى ١٨٩٢ كانت توجد المزارع الاصغر والاكبر في المساحة التي نمت نحو الزيادة. والمزارع الاصغر والاكبر في المساحة التي تناقصت. وفي انجلترا من ١٨٨٥ الى ١٨٩٥ ، كانت توجد المزارع الاصغر والاكبر في المساحة التي تناقصت ، وكانت توجد المزارع التي تتراوح مساحتها بين ٤٠ و١٢٠ هكتار (من ١٠٠ الى ٣٠٠ فدان) اي انها مزارع ليس في الامكان تصنيفها مزارع صغيرة ، وهي مزارع نمت بالزيادة . وفي اميركا ، يتناقص معدل مساحة المزارع : ففي ١٨٥٠ كان ٢٠٣ فدان ، وفي ١٨٦٠ اصبح ١٩٩ فدان ، وفي ١٨٧٠ اصبح ١٥٣ فدان ، وفي ١٨٨٠ اصبح ١٣٤ فدان ، وفي ١٨٩٠ اصبح ١٣٧ فدان . ولقد قام كاوتسكي بفحص دقيق للاحصاءات الاميركية وكان تحليله ــ على الرغم من راي السيد بولجاكوف ــ غاية في الاهمية من حيث **المبدأ**. ان السبب الرئيسي للتناقص في معدل مساحة المزرعة هو انهيار مزارع العبيد الكبيرة plantations في الجنوب بعد تحرير العبيد ، ففي الولايات المتحدة الجنوبية انخفض معدل مساحة المزرعة اكثر من النصف . « ليس هناك شخص واحد يفهم الموضوع سوف يعتبر هذه البيانات دليلا على انتصار الانتاج الصغير على الانتاج الكبير الحديث (=الراسمالي) » .

وعموما فـــان تحليـــل الاحصاءات الاميركية **بالنسبة للمناطق** يكشف عن تنوع في العلاقات . ففي «ولايات القمح » الرئيسية في القسم الشمالي مـــن غـــرب الوسط ، ازداد معدل مساحة المزرعة من ١٢٢ الى ١٣٣ فدان. « ان الانتاج الصغير يصبح سائدا فحسب في تلك الاماكن التي تكون فيها الزراعة فـــي حالـــة انهيار او عندما يدخـــل الانتـــاج الكبـــير السابـــق للراسمالية فـــي منافسة مـــع الانتـــاج الفلاحي » (١٣٥) . ان هذا الاستنتاج لكاوتسكي فـــي غاية الاهمية ، لانه يبين انـــه اذا لـــم يكن هناك تمسك بظروف معينة فان معالجة الاحصاءات قد يصبح مجرد **اساءة في المعالجة** : ذلك لانه لا بد من التمييز بيـــن الانتاج الراسمالي الكبير ، والانتاج الكبير السابـــق للراسمالي .

لا بـــد من القيام بتحليل **مفصل** في المقاطعات المختلفة التي تختلف ماديا في اشكال الزراعة وفي شروط تطورها التاريخي . يقـــال « ان البيانات تبرهن » ! ولكن ينبغي على المرء ان يحلل البيانات حتى يتبين علام تبرهن . انها تبرهن فحسب عـــلى **مـــا تقوله مباشرة** . والبيانات لا تتحدث مباشرة عن النطاق الذي ينجز فيه الانتاج ، بـــل عـــن **مساحـــة** المزارع . ومن الممكن بل ومما يحدث كثيرا انـــه « بالنسبة للزراعة المكثفة ، يمكن انجاز الانتاج على نطاق واسع في عقار صغير اكثر مما يمكن ذلك في عقـــار كبـــير مزروع باسلوب التوسع الافقـــي » .

فالاحصاءات التي تحدثنا فحسب عن مساحة المزارع لا تخبرنا بشيء عما اذا كان التناقص في مساحتها يرجع الى التناقص الفعلي لنطاق الزراعة ام الى تكثيفها » (١٤٦) . فزراعة الغابات والمراعي ، تلك الاشكال الاولى من الزراعة الرأسمالية الكبيرة، تلائم المساحة الشاسعة من الاراضي ، اما زراعة الحقول فانها تقتضي مساحة اصغر من الارض . ولكن تختلف انظمة زراعة الحقول عن بعضها الاخرى في هذا المجال . فنظام الزراعة المكثفة الذي يستغل التربة اقصى استغلال (الذي انتشر في اميركا حتى الان) يكون ممكنا بالنسبة للمزارع الضخمة (اكثر من ١٠٠٠٠ هكتار مثل مزارع واليرغيل وجلين وغيرها التي تسمى Bonanza Farms * وكذلك تتخذ مزارع الاستبس عندنا هذه الابعاد) . ويؤدي ادخال الاسمدة ..الخ بالضرورة الى تناقص مساحة المزارع وعلى المزارع التجارية ، التي كانت على سبيل المثال اصغر في اوروبا عنها في اميركا . كما ان الانتقال من الزراعة الحقلية الى تربية الحيوانات يتسبب ايضا في تناقص مساحة المزارع ! ففي انجلترا في سنة ١٨٨٠ متوسط حجم مزارع تربية الماشية كانت ٥٢ر٣ فدان انجليزي (يساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة — المترجم) على حين كان معدل حجم المزارع الحقلية ٧٤ر٢ فدان انجليزي . وهذا هو السبب في ان الانتقال من

* هذه الكلمات بالانجليزية في الاصل — الناشر وترجمتها العربية الحرفية « مزارع الذهب » المترجم .

الزراعة الحقلية الى تربية الماشية الذي يجري الان في انجلترا لا بد ان يؤدي الى اتجـــاه الـــى تناقص مساحة المزارع : « ولكن لا بد ان يكون حكما فـــي غاية السطحية اذا كان هناك ثمة استنتاج من ذلك بان هناك تدهورا في الانتاج » (١٤٩) . ففي شرق الالب (الذي يأمل السيد بولجاكوف احيانا مـــن خلال دراسته ان يدحض كاوتسكي) ، فان ما يجري على وجه الدقة هو ادخال الزراعة المكثفة . ويقول سيرنج الذي يقتطف منه كاوتسكي ان المزارعين الكبار يزيدون من انتاجية ارضهم ويبيعـــون او يؤجرون للفلاحيـــن الاجزاء البعيدة من عقاراتهم طالما انه بالنسبة للزراعة المكثفة من الصعب الانتفاع بهذه الاجزاء البعيدة مـــن الارض « وهكذا فان العقارات الواسعة فـــي شرق الالب تقل في الحجم وتنشأ الى جوارها مزارع فلاحية صغيرة ، ولكن ذلك لا يكون بسبب تفوق الانتـــــاج الصغير عـــلى الانتاج الكبير ، ولكـــن لان مساحـــة الاراضي الاولى كانـــت مهيـــأة لمتطلبات الزراعـــة المكثفة » (١٥٠) .

ويؤدي التناقص في مساحة المزرعة في كـــل هذه الحالات في العادة الى زيادة في كمية المنتجات (في وحدة الارض) ويؤدي على الدوام الى زيادة في عدد العمال المستخدمين ، اي الى زيادة فعلية فـــي نطاق الانتاج .

ويتضح من ذلك . كم هو قليل ما تبرهن عليـــه احصاءات الزراعة العلمة التي تدور حول مساحـــة

المزارع ، والى اي مدى ينبغي ان نتعامل معها بحذر. ففي الاحصاءات الصناعية نحصل على قوائم مباشرة عن نطاق االانتاج (كمية البضائع ، القيمة الاجمالية للناتج ، وعدد العمال المستخدمين) ، والى جانب ذلك فانه من الميسور ان نميز بين فروعها المختلفة . اما بالنسبة للاحصاءات الزراعية فانها لا تكاد تفي الا بصعوبة بهذه الشروط الضرورية للبرهنة .

وبالاضافة الى ذلك ، فان احتكار ملكية الارض يحد من الراسمالية الزراعية . ففي الصناعة ينمو الرأسمال نتيجة التراكم ، نتيجة لتحول فائض القيمة الى رأسمال ، فالمركزة centralisation ، اي ادماج عدة وحدات صغيرة من الرأسمال في وحدة كبيرة ، تلعب دورا اقل ، اما في الزراعة فان الوضع يختلف عن ذلك . فالارض في مجملها تم تشغيلها (في البلاد المتحضرة) ولا يمكن ان تتسع مساحة المزرعة الا بمركزة قطع عدة من الارض ، ولا بد ان يتم ذلك بهذه الطريقة لكي تتشكل مساحة واحدة متصلة . ومن البديهي ان توسيع عقار عن طريق شراء قطع الارض المحيطة مسألة صعبة للغاية ، خاصة اذا وضعنا في اعتبارنا واقع ان قطع الارض الصغيرة يملك جزءا منها العمال الزراعيون (الذين يحتاج اليهم المزارع الكبير) ، ويملك الجزء الاخر منها الفلاحون الصغار وهم اساتذة في فن المحافظة على ملكيتهم عن طريق التقليل من استهلاكهم الى حد ادنى يصعب تصديقه. ولسبب او لاخر فان اقرار هذه الحقيقة الواضحة

جدا والبسيطة والتي تنم عن حدود الراسمالية الزراعية بدا للسيد بولجاكوف انه مجرد «لغو» (!؟؟) وانه يتيح مجالا لتهكم لا اساس له بالمرة : «وهكذا(!) فان تفوق الانتاج الكبير يواجهه الفشل (!) عند اول صعوبة » . ان السيد بولجاكوف في البداية يسيء فهم قانون تفوق الانتاج الكبير وينسب الى كاوتسكي الافراط في التجريد وهو بعيد عن ذلك كل البعد، ثم يستخدم اساءته للفهم كحجة ضد كاوتسكي ! ذلك ان اعتقاد السيد بولجاكوف ان في امكانه ان يدحض كاوتسكي بالاستشهاد بايرلندا (هناك ملكية كبيرة للارض ولكن دون وجود انتاج كبير) اعتقاد غريب حقا . فواقع ان ملكية الارض الكبيرة هي احد شروط الانتاج الكبير لا يعني بالمرة انها شرط كاف . وبطبيعة الحال ليس في وسع كاوتسكي ان يدرس الاسباب التاريخية وغير ذلك من الاسباب التي ادت الى هذه السمات النوعية لايرلندا او اي بلد اخر في كتاب عام عن الراسمالية في الزراعة . فليس في وسع اي انسان ان يعن له ان يطالب ماركس في تحليله للقوانين العامة للراسمالية في الصناعة ، بان يفسر السبب في ان الصناعة الصغيرة قد استمرت في فرنسا وقتا اطول · والسبب في ان الصناعة كانت تنمو ببطء في ايطاليا الخ.. كما ان قول السيد بولجاكوف ان التمركز « يمكن » ان ينشأ على نحو تدريجي قول لا اساس له بنفس القدر : فليس من الميسور ان توسع العقار من خلال شراء قطع الارض

المجاورة مثلما هو الحال عندما تضيف مبان واراض جديدة لمصنع لعدد اضافي من الماكينات ..الخ

فالسيد بولجاكوف حين يشير الى هذه الامكانية الوهمية الخالصة لتركز الارض التدريجي أو تأجيرها بهدف تكوين مزارع كبيرة ، يغفل عن السمة النوعية الحقيقية للزراعة في عملية التركز ـ وهي سمة أشار اليها كاوتسكي . انها العزبة (اللاتيفونديا) أي تركز عقارات عدة في يد مالك واحد . وتسجل الاحصاءات عادة عدد العقارات الفردية ولكنها لا تخبرنا بشيء عن عملية تركز عقارات عدة في ايدي الملاك الكبار . ويستشهد كاوتسكي بأمثلة غاية في الروعة ـ في المانيا والنمسا ـ على مثل هذا التركز الذي يؤدي الى شكل أرقى وخاص للزراعة الرأسمالية الكبيرة ، ذلك الشكل الذي تتجمع فيه عقارات عدة كبيرة لكن تشكل وحدة اقتصادية واحدة تديرها هيئة مركزية واحدة. ومثل هذه المؤسسات الزراعية العملاقة يمكن من تجميع معظم فروع الزراعة المتباينة ومن أقصى استخدام مكثف لمزايا الانتاج الكبير ، وسوف يتبين القارىء الى اي مدى كان كاوتسكي بعيدا عن التجريد وعن الفهم الجامد « لنظرية ماركس » التي ظل مخلصا لها . ولقد حذر كاوتسكي من هذا الفهم الجامد ، بل وأدخل قسما خاصا عن هلاك الانتاج الصغير في الصناعة ضمن الفصل الذينناقشه ـ وهو يشير عن حق أنه حتى في الصناعة لا يعتبر انتصار الانتاج الكبير أمرا ميسور الانجاز الى هذا الحد ،

وانه ليس على هذا النمو من الاطراد ، كما هي عـادة التفكير عند أولئك الذين يتحدثون عن أن نظريةماركس لا تنطبق على الزراعة . ويكفي أن نشير الى الصناعـة الراسمالية المنزلية ، ويكفي ان نتذكر الملاحظات التي أبداها ماركس عن التنوع الهائل للاشكال الانتقاليـة والمختلفة التي تجعل انتصار نظام المصنع الكبير أمـرا ملتبسا . لكم هي الامور أكثر تعقيدا في الزراعـة ! فزيادة الثروة والترف يؤديان على سبيل المثال الـى أن يشتري أصحاب الملايين عقارات ضخمة ليحولوها الى غابات لمتعهم الخاصة . ان عـدد المواشي فـي سالزبورج وفي النمسا يتناقص منذ ١٨٦٩ . والسبب هو بيع مرتفعات الالب لعشاق الصيد الاثرياء . ويقول كاوتسكي ــ بصورة تكشف عن حصافة ــ أن المرء اذا تناول الاحصاءات الزراعية في عموميتها وعلى نحـو غير نقدي ، فانه من السهل التوصل الى اكتشاف ان هناك ميلا في نمط الانتاج الراسمالي لتحويل الامـم الحديثة الى قبائل صيد !

وأخيرا ، يشير كاوتسكي أيضا ضمـن الشروط التي تؤدي الى الحد من الزراعة الراسمالية الى واقع ان النقص في العمال ــ الذي يرجع الى هجرة السكان الريفيين ــ يجبر ملاك الارض الكبار عـلى أن يقطعـوا الارض للعمال لكي ينشئوا فلاحين صغار يمدون الملاك بقوة العمل . ان العامل الزراعي الـذي لا يملك عـلى الاطلاق يعتبر نـادرا ، ذلـك لان الاقتصـاد الزراعي الريفي بالمعنى الدقيق للكلمة يرتبط بالاقتصاد المنزلي .

فكافة قطاعات العمال بالاجر يملكون ارضا أو لهم حق الانتفاع بالارض . وعندما يزول الانتاج الصغير الى درجة كبيرة ، فان **ملاك الارض الكبار يحاولون أن يدعموه أو يبعثوه للحياة** عن طريق بيع الارض أو تأجيرها . ويقول سيرنج Sering الذي يستشهد به كاوتسكي . « في كافة البلاد الاوروبية **هناك تحرك** ملحوظ في هذه الايام نحو ... اقرار أوضاع العمال الريفيين عن طريق أقطاعهم قطعا من الارض» . وبهذه الطريقة ، فانه من المستحيل الظن ان الانتاج الصغير قد زال تمام الزوال من الزراعة في حدود نمط الانتاج الرأسمالي ، ذلك لان الراسماليين والزراعيين انفسهم يميلون الى احيائه عندما يوغل الخراب بين الفلاحين . ولقد أشار ماركس الى هذه الدورة لتركز الارض وتفتتها parcellisation of land في المجتمع الراسمالي لزمن بعيد يرجع الى ١٨٥٠ في نويه راينيشه زايتونج (ص ٤) .

ويرى السيد بولجاكوف ان حجج كاوتسكي تتضمن « عنصرا من الحقيقة ، ولكنها مع ذلك اكثر خطأ » . ومثل كافة أحكام السيد بولجاكوف الاخرى فان هذا الحكم ضعيف للغاية وأسسه غامضة ، ويعتقد السيد بولجاكوف أن كاوتسكي قد « انشأ نظرية عن الانتاج البروليتاري الصغير » وان هذه النظرية صحيحة بالنسبة لمناطق محدودة للغاية . اما نحن فان لنا رأيا مختلفا . ان العمل الزراعي المأجور الذي يقوم به المزارع الصغير (أو وهو الشيء

ذاته العامل الزراعي والعامل المياوم الزراعي بالمحاصة) هو **ظاهرة تميز بدرجات متفاوتة كافة البلاد الرأسمالية** . فليس في وسع الكاتب الذي يريد ان يصف الراسماليين في الزراعة ان يخفي هذه الظاهرة دون ان يلوي عنق الحقيقة * . ويقدم كاوتسكي في الفصل الثامن من كتابه اي الفصل عن « تحول الفلاح الى بروليتاري » استدلالا شاملا للبرهنة على ذلك في المانيا ، وعلى الاخص ، البرهنة على ان الانتاج الصغير البروليتاري عام .

ويقول السيد بولجاكوف أن الكتاب الاخرين بما فيهم السيد كابلوكوف أشاروا الى أن « نقص العمال» **ينحى جانبا اكثر الامور أهمية** – أي الاختلاف الهائل في المبدأ بين نظرية السيدكابلوكوف ونظرية كاوتسكي. فالسيد كابلوكوف « يؤسس » على نقص العمال نظرية فحواها أن الانتاج الكبير غير مستقر وان الانتاج الصغير مستقر ، وذلك نظرا لوجهة نظره البورجوازية الصغيرة (بالالمانية في الاصل klemburger _ المترجم) المميزة . ويقدم كاوتسكي وصفا دقيقا للوقائع ويشير الى دلالتها الحقيقية في المجتمع الطبقي الحديث : ان مصالح ملاك الارض الطبقية تجبرهم على ان يعملوا جاهدين على أن يقطعوا العمال قطعا من الارض . أما

---

* قارن تطور الراسمالية في روسيا الفصل الثاني القسم ١٢ ص ١٢٠ (انظر الطبعة الحالية مجلد ٣ ص ١٧٨ – الناشر) . ويقدر عدد العمال الريفيين الذين يملكون ارضا في فرنسا بـ ٧٥ ٪ وهناك امثلة اخرى موجودة في الكتاب .

فيما يتعلق بالوضع الطبقي فان العمـــال الزراعيين العاملين بالاجر والذين يملكون قطعا من الارض فانهم في وضع بين البورجوازية الصغـيرة والبروليتاريا ، ولكنهم أقرب الى هذه الاخيرة وبعبارة اخـرى ، فان السيد كابلوكوف يطور جانبا واحدا من عملية معقـدة الى نظرية عدم استقرار الانتاج الكبير ، على حين أن كاوتسكي يحلل الاشكال الخاصة للعلاقات الاقتصادية الاجتماعية التي نشأت عن مصالح الانتاج الكبير فـي مرحلة معينة من تطوره وفـي ظـل شروط تاريخيـة معينة .

- ٥ -

والآن سننتقل الى الفصل التالي مـن كتـاب كاوتسكي الذي اقتطفنا عنوانه منـذ قليـل . يدرس كاوتسكي في هذا الفصل **أولا** : « الاتجاه نحو تفتيت حيازة الارض » ، **وثانيا** : « أشكال استخدام الفـلاح الاضافية » ، وعلى هذا النحو توصف في هذا الصدد تلك الاتجاهات الهامة للغاية للرأسمالية في الزراعـة وهي اتجاهات نموذجية في الغالبية العظمى من البلاد الراسمالية . ويقول كاوتسكي ان تفتيـت حيـازات الارض يؤدي الى طلب متزايد على القطع الصغيرة من جانب الفلاحين الصغار ، الذين يدفعون ثمنا أعلى في مقابل الارض من المزارعين الكبار . ويورد عديد مـن الكتاب هذا الواقع لاثبات أن الزراعة الصغيرة تتفوق

على الزراعة الكبيرة . ويرد كاوتسكي على ذلك بطريقة صائبة عن طريق مقارنة سعر الارض بسعر المنازل : فمن المعروف ان المنازل الصغيرة والرخيصة أندر من وحدة الاتساع (في الاقدام المكعبة ... الخ) من المنازل الكبيرة والغالية . فالسعر الاعلى لقطع الارض الصغيرة لا يرجع الى تفوق الزراعة الصغيرة بل الى الظرف القهري بصفة خاصة للفلاح ويمكن تبين العدد الهائل للمزارع القزمية التي أوجدتها الراسمالية من البيانات الآتية : في المانيا (١٨٩٠) فمن أصل ٥٥٠٠٠٠٠ مزرعة هناك ٤،٢٥٠٠٠٠ مزرعة اي اكثر من ثلاث أرباح مساحتها أقل من خمس هكتارات (٥٨ في المائة منها أقل من هكتارين) . وفي بلجيكا ٧٨ ٪ ، (٧٠٩٥٠٠ من أصل ٩٠٩٠٠٠) أقل من هكتارين ، وفي انجلترا (١٨٩٥) ١١٨٠٠٠ من أصل ٥٢٠٠٠٠ أقل من هكتارين . وفي فرنسا (١٨٩٢) ٢٢٠٠٠٠٠ مزرعة (من أصل ٥٧٠٠٠٠٠) أقل من هكتار واحد ، ٤٠٠٠٠٠٠ مزرعة أقل من خمس هكتارات ، ويظن السيد بولجاكوف ان بامكانه أن يدحض قول كاوتسكي بأن المزارع القزمية غير مرشدة على الاطلاق (غير مكتفية من الماشية والادوات والمال وقوة العمل التي تتحول الى الاعمال الاضافية) عن طريق القول بأن الارض « في الغالب » ؟؟ تزرع « بدرجة من الكثافة يصعب تصديقها » حتى ولو « بالانفاق غير المرشد على الاطلاق لقوة العمل » .. وغني عن البيان ان هذا الاعتراض لا أساس له

البتة، فهذه الامثلة الفردية للزراعة المتازة للارض من قبل الفلاحين الصغار أضعف من أن تفنـــد وصـــف كاوتسكي العام لهذا النمط من الزراعة مثلما ان المثل الذي اقتطفناه من قبل عن زيادة مربحيـــة المزرعـــة الصغيرة أضعف من أن يفند أطروحة تفـوق الانتـــاج الكبير . أما عن ان كاوتسكي كان على صواب تمامـــا في وصفه لهذه المزارع في مجملها * ضمـــن مقولـــة « البروليتارية » فان ذلك يتبين مـــن الواقـــع الذي تكشف عنه الاحصاءات الالمانية لسنة ١٨٩٥ وهو ان العديد من صغار المزارعين ليس في امكانهم الاستغناء عن الدخول الاضافية . فمـــن اجمالي ٤٧٠٠٠٠٠ شخص يحصلون على معاشهم المستقل مـــن الزراعة هناك ٢٧٠٠٠٠٠ شخص أو ما يعادل ٥٧ ٪ لهم دخول اضافية . ومن مجمل ٣٢٠٠٠٠٠ مزرعة اقـــل مـــن هكتارين هناك ٤٠٠٠٠٠ مزرعة فحسب او ما يعادل ١٣ ٪ ليس لهم دخول اضافية أو في المانيا ككل مـــن أصل ٥٠٠٠٠٠ مزرعة هناك ١٥٠٠٠٠٠ مملوكة لعمال

٪ نؤكد على قولنا « في مجملها » لانه ليس من الممكن بطبيعة الحال انكار انه في صلات معينة فان بامكان هذه المزارع ذات المساحـــات الضئيلة أن تغل كمية كبيرة من المنتجات ودخلا كبـــيرا (الكروم ، وبساتين الخضر وغيرها) ولكن ما عسانا أن نقوله في عالم اقتصادي يحاول ان يفند أن السبب في الافتقار الى الخيول بين الفلاحين الروس بالاشارة ــ على سبيل المثال ــ الى زراع الخضر في ضواحي موسكو الذين قد ينجزوا في بعض الاحيان زراعة مرشدة ومركبة دون استخدام الخيـــول ؟

زراعيين وصناعيين يعملون بالاجر (+ ٧٠٤٠٠٠ مملوكة للحرفيين) وبعد ذلك يخلص السيد بولجاكوف الى تأكيد ان النظرية القائلة ببروليتارية حيازة الارض الصغيرة قد « ابتدعها » كاوتسكي ** ! لقد درس

---

* يقول السيد بولجاكوف في هامش ص ١٥ ، أن كاوتسكي يعتقد أن رسوم الحبوب ليست في مصلحة الغالبية العظمى من السكان الريفيين ، ويكرر خطأ اقترفه أحد المؤلفين عن أسعار الحبوب . وليس في وسعنا أن نتفق مع هذا الرأي . لقد وقع مؤلفو كتاب اسعار الحبوب في عدة اخطاء (أشرت اليها مرارا في الكتاب السالف الذكر) ولكن ليس هناك ثمة خطأ في الاعتراف بأن اسعار الحبوب المرتفعة ليست من مصلحة جماهير السكان. ولكن الامر الخاطىء هو الاستدلال **مباشرة** ان مصالح الجماهير تتطابق مع مصالح التطور الاجتماعي في مجمله . ولقد أشار السادة توجان بارانوفسكي وستروفه عن حق ان **معيار** تقدير أسعار الحبوب ينبغي أن يكون ما اذا كان يستبعد — على نحو متفاوت السرعة في الرأسمالية — مصلحة العمل ، ما اذا كان يحفز التطور الاجتماعي . وهذه مسألة حقيقية عالجتها على نحو مختلف عن النحو الذي عالجها به ستروفه . فأنا لا اعتبر ان انخفاض اسعار الحبوب والنمو السريع على نحو خاص لصناعة المكينة الزراعية ، والدافع نحو التخصص في الزراعة الذي دفع اليه انخفاض أسعار الحبوب يبين أن الاسعار المنخفضة **تحفز** تطور الرأسمالية في الزراعة الروسية (قارن تطور الرأسمالية في روسيا الفصل الثالث القسم الخامس ص ١٤٧ ، هامش ٢) (انظر الطبعة الحالية مجلد ٣ ص ٢١٢ ، ٢١٣ — الناشر) . ان انخفاض اسعار الحبوب له تأثير تحويلي عميق على سائر العلاقات في الزراعة . يقول السيد بولجاكوف : « يعتبر ارتفاع اسعار الحبوب احد اهم شروط تكثيف الزراعة » . (ويعبر السيد ب. س. في عمود « عرض موجز للشؤون الداخلية » ص ٢٩٩ في نفس العدد من ناتشالو) . وهو ←

كاوتسكي تمام الدراسة الاشكال التي يتخذها تحـول الفلاحين الى بروليتاريا (أشكال عمل الفلاح الاضافي) ص ١٧٤ ــ ١٩٣) ويسمح لنا ضيق المجال هنا للاسف أن نبحث باستفاضة وصفة لهـذه الاشكال (العمـل الزراعي بالاجر ، الصناعة المنزلية hausindustrie ، « أحط نظم الاستغلال الرأسمالي » ــ العمـــل فـي المصانع والمناجم وهلم جرا .) . وملاحظتنا الوحيدة هي أن كاوتسكي قام بنفس التقييم للعمـل الاضافي مثلما فعل الاقتصاديون الروس . ان العمال المهاجرين أقل تطورا ، كما أن مستوى احتياجاتهم أكبر انخفاضا من العمال الحضريين ، وفي كثير من الاحوال يكـون لهـم أثـر مسيء على الظروف المعيشيـة للعمـــال الحضريين . « ولكن بالنسبة لتلك الاوطان التي أتـوا منها والتي يعودون اليها فانهم بمثابة رواد التقدم .. فهم قد اكتسبوا رغبات جديدة وافكارا جديـدة » . (ص ١٩٢) فهم يوقظون في وعي الفلاحين المتخلـف احساسا بالكراهية الانسانية والثقة بقوتهم .

وفي الختام سوف نعالج الهجوم الاخير والحاد على نحو خاص للسيد بولجاكوف ضــد كاوتسكي .

←

الكلام غير دقيق . فلقد بين ماركس من الجزء ٦ من المجلد ٣ من راس المال ان انتاجية رأس المال الاضافي المستثمر في الارض يمكن أن تتناقص ، **ولكن يمكن ايضا أن تتزايد** ، مع الانخفاض في سعر الحبوب ، والريع يمكن أن ينخفض **ولكنه يمكن ان يزيد ايضـا** ، وبالتـالي فالزراعة الكثيفة قد ترفع في حقب تاريخية الى شروط مخالفة تماما بغض النظر عن مستوى اسعار الحبوب .

يقول كاوتسكي أنه في المانيا من ١٨٨٢ الى ١٨٩٥ **قد** زادت اكبر المزارع وأصغرها (مساحة) من حيث العدد (وبهذه الطريقة فان تفتيت الارض يتقدم على حساب المزارع المتوسطة) . فالواقع هو أن عدد المزارع الاقل من هكتار تزايد بنسبة ٨،٨ ٪ والمزارع من ٥ الى ٢٠ هكتار تزايدت بنسبة ٧،٨ ٪ ، بينما تزايدت المزارع الاكبر من ١٠٠٠ هكتار بنسبة ١١ ٪ (لم يتزايد عدد المزارع من الفئات التي تقع بينها الا بالكاد، بينما تزايد اجمالي عدد المزارع بنسبة ٥،٣ ٪). ان السيد بولجاكوف مستاء غاية الاستياء لان النسبة المئوية مأخوذة عن المزارع الاكبر التي هي عديمة الاهمية من حيث عددها (٥١٥، ٥٧٢ بالنسبة للسنوات على التوالي) .

ان استياء السيد بولجاكوف لا أساس له بالمرة. فهو ينسى ان هذه المزارع غير الهامة من حيث العدد هي الاكبر حجما وانها **تحتل ما يقارب** ٢٣٠٠٠٠ الى ٢٥٠٠٠٠ من المزارع القزمية (حتى هكتار) واذا كان لي ان اقول ان عدد المصانع الكبير في بلد ما ، تلك المصانع التي تستخدم الف عامل وما يزيد عن الالف ، يتزايد ولنقل من ٥١ الى ٥٧ بنسبة مئوية ١١ ٪ على حين ان العدد الاجمالي للمصانع يتزايد بنسبة ٣ر٥ ٪ ، الا يبين ذلك زيادة الانتاج الكبير ، رغم واقع ان **عدد** المصانع الكبيرة قد يكون عديم الاهمية بالمقارنة مع العدد الاجمالي للمصانع ؟ ان كاوتسكي منتبه تمام الانتباه الى واقع ان المزارع

الفلاحية من ٥ الى ٢٠ هكتار هي التي نمت فياجمالي المساحة (السيد بولجاكوف ص ١٨) وعالج ذلك في الفصل التالي .

فكاوتسكي اذن يضع في اعتباره التغييرات التي طرأت في المساحة في الفئات المختلفة في ١٨٨٢ ، ١٨٩٥ . وتبين ان الزيادة الكبرى (+٥٦٣٤٧٧) حدثت في المزارع الفلاحية من ٥ الى ٢٠ هكتار وان الزيادة التالية في المزارع الكبرى اي تلك المزارع الاكبر من ١٠٠٠ هكتار (+٩٤٠١٤) ، على حين ان مساحة المزارع من ٢٠ الى ١٠٠٠ هكتار تناقصت ٨٦٨٠٩ هكتار . اما المزارع بمستوى هكتار فقد تزايدت مساحتها ٣٢٦٨٣ هكتار والمزارع من ١ الى ٥ هكتار تزايدت بما قيمته ٤٥٦٠٤ هكتار .

ويصل كاوتسكي الى الاستنتاج التالي : ان التناقص في مساحة المزارع التي مساحتها من ٢٠ الى ١٠٠٠ هكتار (والذي هو اكثر من ان توازنه الزيادة في مساحة المزارع ذات الالف هكتار وما يزيد) لا يرجع الى تدهور الانتاج الكبير بل يرجع الى تكثيفه. ولقد رأينا منذ قليل ان الزراعة المكثفة قد احرزت تقدما في المانيا ، وانها تتطلب على الدوام التناقص في مساحة المزارع . اما ان هناك تكثيفا للانتاج الكبير فان ذلك يمكن تبينه من تزايد استخدام الماكينات التي تدار بالبخار ، كما يتبين من الزيادة الهائلة في عدد المستخدمين الزراعيين غير اليدويين، الذين يستخدمون في المانيا في المزارع الكبيرة فحسب .

ولقد تزايد عدد مديري العقارات (المفتشين) والمشرفين وكاتب الحسابات وغير ذلك من ٤٧٤٥٦ في ١٨٨٢ الى ٧٦٩٧٨ في سنة ١٨٩٥ اي بنسبة ٦٢٪ ، ولقد ارتفعت النسبة المئوية للنساء بين هؤلاء المستخدمين من ١٢٪ الى ٤ر٢٣٪ . « يبين كل ذلك بوضوح الى اي مدى اصبحت الزراعة اكثر كثافة واكثر ايغالا من الرأسمالية منذ بداية الثمانينات . وسوف يبين الفصل القادم السبب في انه كان هناك في الوقت نفسه هذا التزايد الهائل في مساحة المزارع الفلاحية المتوسطة » (ص ١٧٤) .

ان السيد بولجاكوف يعتبر ان هذا الوصف « مناقض للواقع على نحو صارخ » ، لكن الادلة التي يستعين بها مرة اخرى تفشل من تبرير مثل هذا الحكم القاطع والجريء ولا يهتز لها استنتاج كاوتسكي ادنى اهتزاز . « ففي المحل الاول ، لن يفسر تكثيف الزراعة في ذاته اذا حدث التناقص النسبي والمطلق للمساحة المزروعة ، والتناقص في النسبة الاجمالية للمزارع من فئة ٢٠ الى ١٠٠٠ هكتار . فالمساحات المنزرعة يمكن ان تتزايد في آن واحد مع الزيادة في عدد المزارع . ولا تحتاج هذه الاخيرة الا مجرد (كذا !) ان يتزايد على نحو أسرع ، حتى تتناقص مساحة كل مزرعة»*.

---

* يورد السيد بولجاكوف بيانات بتفصيل اكثر ولكنها لاتضيف اي شيء الى بيانات كاوتسكي ، طالما انها تبين التزايد في عدد المزارع ذاتها في احد فئات الملاك الكبار والتناقص في مساحة الارض .

لقد تعمدنا اقتطاف هذه المناقشة بكاملها ، التي خلص منها السيد بولجاكوف بالاستنتاج القائل بان : « تناقص حجم المزارع الذي يرجع الى نمو الزراعة المكثفة ليس الا وهما خالصا » (كذا !) لانها تكشف بصورة اخاذة الخطأ الذي حذر منه كاوتسكي بكل جدية ، اي اساءة تناول « الاحصاءات » . فالسيد بولجاكوف يلقي بمطالب محددة على عاتق الاحصاءات الخاصة **بمساحة** المزارع، وينسب الى هذهالاحصاءات دلالة لا يمكن ان تتضمنها . فما السبب حقا ، الذي يجعل المساحة المزروعة تتزايد « الى حد ما » ؟ وما السبب في ان تكثيف الزراعة (الذي يؤدي احيانا — كما سبق واوضحنا — الى بيع الفلاحين وتأجيركم قطعا من الارض بعيدة عن المركز) « لا ينبغي له » ان ينقل عددا معينا من المزارع من مرتبة اعلى الى مرتبة اقل؟ ولماذا لم يكن من المتعين انقاص المساحة المنزعة من المزارع التي تتراوح مساحتها من ٢٠ الى ١٠٠٠ هكتار* ؟ في الاحصاءات الصناعية لا بد ان التناقص في **عائدات** المصانع الكبيرة يشير الى تدهور الانتاج الكبير . ولكن تناقص **مساحة** الضياع الكبيرة بنسبة تقارب ٢ر١٪ **لا يشير وليس في وسعه ان يشير** الى حجم الانتاج ، الذي يتزايد في اغلب الاحوال مع تناقص مساحة المزرعة . نحن نعرف ان عملية تربية

---

* يوجد تناقض في هذه الفئة من المزارع من ١٦٩٨٦ هكتار الى ١١٥ر١٦٨٠٢ هكتار أي في مجمله ٢ر١ ٪ ! الا يفصح ذلك عن شيء يؤيد رؤية السيد بولجاكوف للانتاج الكبير على انه « يعاني من سكرات الموت » ؟

الماشية تحل محل زراعة الحبوب — هذا ملحوظ في انجلترا على وجه الخصوص — لا تزال تمضي قدما في مجمل اوروبا . ونحن نعرف ان هذا التغيير يتسبب احيانا في تناقص مساحة الارض ، ولكن اليس من الغريب ان نستنتج من ذلك ان مساحة المزرعة الاصغر تعني هنا تدهورا في الانتاج الكبير ؟ هذا هو السبب في ان « الجدول البليغ » الذي قدمه السيد بولجاكوف في صفحة ٢٠ — والذي يبين التناقص في عدد المزارع الكبيرة والصغيرة والتزايد في عدد المزارع المتوسطة (من ٥ الى ٢٠ هكتار) التي تمتلك حيوانات للعمل في الحقل — لا يبرهن في هذه المناسبة على اي شيء ، ولعل هذا يرجع الى التغيير في نظام الزراعة .

اما عن كون الانتاج الزراعي الكبير في المانيا قد اصبح اكثر كثافة وقد اصبح رأسماليا على نحو اكبر فانه واضح **اولا** من الزيادة في عدد المستخدم من الماكينات التي **تدار بالبخار** : فلقد تضاعف عددها من ١٨٧٩ الى ١٨٩٧ خمس مرات . ولن يفيد السيد بولجاكوف ان يلحق بالاعتراض بان عدد **كافة** الماكينات **بصفة عامة** (لا الماكينات التي تدار بالبخار فحسب) التي تملكها المزارع الصغيرة (التي تصل الى ٢٠ هكتار) اكبر من عدد الماكينات التي تملكها المزارع الكبيرة ، ولن يفيده ايضا القول بان الآلات في امريكا تستخدم في المزارع المكثفة . فنحن لا نناقش امريكا الان بل المانيا حيث لا توجد مزارع الذهب

والجدول التالي يوضح النسب ⁎ Bonza Farm المئوية للمزارع الالمانية (في ١٨٩٥) التي تستخدم محاريث بخارية وآلات الدرس البخارية :

المزارع	النسبةالمئوية للمزارع التي تستخدم المحاريث البخارية	النسبةالمئوية للمزارع التي تستخدم آلات الدرس البخارية
اقل من ٢ هكتار	—	١٠ر١
من ٢ الى ٥ هكتار	—	٢٠ر٥
من ٥ الى ٢٠ هكتار	١٠ر٠	١٠ر٩٥
من ٢٠ الى ١٠٠ هكتار	١٠ر٠	١٦ر٦٠
من ١٠٠ فما فوق	٢٩ر٥	٦١ر٢٢

والان ، اذا كان مجمل عدد الآلات التي تدار بالبخار المستخدمة في الزراعة في المانيا قد ازداد بنسبة خمسة اضعاف ، الا يبرهن ذلك على ان الزراعة الكبيرة قد اصبحت اكثر كثافة ؟ ان ما ينبغي علينا الا ننساه — كما فعل السيد بولجاكوف في ص ٢١ — ان التزايد في حجم المشاريع الزراعية لا يتطابق دوما مع التزايد في مساحة المزارع .

وثانيا يتضح واقع ان الانتاج الكبير قد اصبح اكثر رأسمالية من الزيادة في عدد المستخدمين الزراعيين اليدويين . ولا يفيد السيد بولجاكوف ان يسمي هذا الدليل الذي قدمه كاوتسكي بانه « امر

⁎ هاتان الكلمتان بالانجليزية في الاصل — الناشر

غريب » : « تزايد في عدد الضباط ، جنبا الى جنب مع تناقص الجيش » ــ مع التناقص في عــدد العمال الزراعيين بالاجر . ونقول مرة اخـــرى : ان مـــن سيضحك كثيرا هــو مـــن سيضحك فـــي النهايـــة Rira bien qui rira le dernier ! * . ان كاوتسكي لم يكن فحسب غير غافل عن تناقص عـــدد العمـــال الزراعيين ، بل يبينه بالتفصيل في نسبة الى عـــدد البلاد ، غير ان هذا الواقع لا صلة له بتاتا بما نعالجه الان ، لان سكان الريف ككل يتناقصون ، بينما يتزايد عدد المزارعين الصغـــار البروليتاريين . ولنفرض ان المزارع الكبير قد هجر انتاج الحبوب واشتغل بانتاج بنجر السكر وتصنيع السكر (فـــي المانيا ١٨٧١ ـــ ١٨٧٢ تم تصنيع ٢٢٠٠٠٠٠ طن من البنجر الى سكر، في ١٨٨١ ـــ ١٨٨٢ تم تصنيع ٦٣٠٠٠٠٠ طن وفـــي ١٨٩١ تم تصنيع ٩٥٠٠٠٠٠ طن ، وفـــي ١٨٩٦ ـــ ١٨٩٧ تم تصنيع ١٣٧٠٠٠٠٠ طن) ، فان عليه حتى ان يبيع ويؤجر الاجزاء البعيدة من ممتلكاته للفلاحين الصغار ، وبخاصة اذا كان يحتاج الى زوجات واطفال

---

* ان ما يعتبر امرا غريبا حقا هو ملاحظة السيد بولجاكوف ان الزيادة في عدد المستخدمين غير اليدويين ربما كانت تدل على نمو الصناعة الزراعية ، ولكنها لا تدل (!) علـــى نمـــو الزراعة الكبيرة المكثفة ، حتى الان لا زلنا نعتقد أن واحدا من اهم اشـــكال التكثيف هو نمو الصناعة في الزراعة (وصفها كاوتسكي في فصـــل خمسة بالتفصيل وقيمها) .

هؤلاء الفلاحين كعمال باليومية فـــي غرس البنجر ، ولنفرض انه ادخل محراثا بخاريـــا استأصل شأفـــة عمال الحراثة السابقين (في زراعة البنجر فـــي سكسونيا — « نماذج مـــن الزراعة المكثفـــة »* — اصبحت المحاريث البخارية شائعـــة الاستعمال) ، يتناقص عدد العمال المأجورين ، ويتزايد بالضرورة عدد المرتبة الاعلى من المستخدمين (موظفـــو الحسابات والمديرون والفنيون ..الخ) ، هل في وسع السيد بولجاكوف ان ينكر ان ما نراه هنا هو زيادة في تكثيف الزراعة في الراسمالية في الانتاج الكبير ؟ هل سيؤكد ان لا شيء من هذا النوع قد جرى في المانيا ؟

ولكي نجمـــل عرض الفصل الثامن مـــن كتاب كاوتسكي ، اي الفصل الخاص بتحويل الفلاحين الى بروليتاريا ، فاننا بحاجة الى اقتطاف الفقرة التالية ، يقول كاوتسكي بعد الفقرة التي اقتطفناها من قبل : ان ما يهمنا هنا هو ان واقع تحويل السكان الريفيين الى بروليتاريا يمضي قدما في المانيا كما فـــي الاماكن الاخرى على الرغم من واقع ان الاتجاه نحـــو تفتيت الملكيات المتوسطة قد توقف . فمنذ ١٨٨٢ الى ١٨٩٥ تزايد مجمل عدد المزارع بنحو ٢٨١٠٠٠ . ويرجـــع الجزء الاعظم من هذه الزيادة الى حد بعيد الى العدد المتعاظم في المزارع البروليتارية التي تبلغ مساحتها هكتار فلقد تزايد عدد هذه المزارع الى نحو ٢٠٦٠٠٠، « وكما رأينا ، فـــان تطور الزراعة له خصوصيـــة

---

* كيرجر Kârger الذي اقتطف منه كاوتسكي ص ٤٥

مختلفة تماما عن تطور الرأسمال الصناعي والتجاري.
ولقد اشرنا فيالفصل السابق الى انه بالنسبة للزراعة لا يؤدي الاتجـاه الى مركزة المزارع الـى استئصال شأفة الانتاج الصغير تماما . فعندما يمضي هذا الاتجاه الى غايتـه فانـه يؤدي الى نشأة الاتجاه المضاد ، وبهذه الطريقة فان الاتجاه الى التركز والاتجاه للتفتيت يتناوبان . وكما بينا الان فانه بالامكان ان يكونا قائمين جنبا الى جنب. وان هناك تزايدا في عدد المزارع التي ينضم ملاكها الى سوق السلع بوصفهم بروليتاريين ، بوصفهم بائعين لقوة العمل ... وكافة المصالح المادية لاولئك المزارعين الصغار بوصفهم بائعين لسلعة قوة العمل تتطابق مع مصالح البروليتاريا الصناعية ، ولا تؤدي ملكيتهم للارض الـى نشأة صراع بينهم وبيـن البروليتاريا . فهذه الملكية تحرر الى هذه الدرجة او تلك المالك الفلاح الصغير من تاجر المنتجات الغذائية، ولكنها لا تحرره من استغلال المقاول الراسمالي سواء كان مقاولا صناعيا او زراعيا » (ص ١٧٤) .

سوف ندرس في المقالة التالية الجزء المتبقي من كتاب كاوتسكي ، وسوف نقيم الكتاب بصفة عامة ، وسوف نناقش الاعتراضات التـي يثيرهـا السيـد بولجاكوف في مقالته الاخيرة .

المقالة الثانية

- ١ -

يمضي كاوتسكي في الفصل التاسع من كتابه بعنوان (« الصعوبات المتنامية للزراعة التجارية ») قدما في تحليل **التناقضات** الكامنة في الزراعة الرأسمالية . ومن الاعتراضات التي يثيرها السيد بولجاكوف ضد هذا الفصل ، الذي سنناقشه فيما بعد ، يتضح أن الناقد لم يفهم الدلالة العامة لهذه « الصعوبات » على نحو صحيح تماما . فهناك « صعوبات » تشكل « عقبة في سبيل الزراعة المرشدة ولكنها في الوقت ذاته **تحفز تطور** الزراعة الرأسمالية . ومن بين « **الصعوبات** » التي أشار اليها كاوتسكي – على سبيل المثال – هجرة السكان من الريف . فلا ريب أن هجرة أفضل وأذكى العمال من الريف تشكل « عقبة » في سبيل التطور الكامل للزراعة المرشدة ، ولكن ليس هناك بنفس القدر أدنى ريب في ان المزارعين يقاومون هذه العقبة **بتطوير التكنيك** ، بادخال المكينة على سبيل المثال .

ويناقش كاوتسكي « الصعوبات » التالية : ا – ريع الارض . ب – حق الميراث . جـ – الحد من حق الميراث ، وقف الارث على ورثة معينين (fideicommissum, anerbenrecht) (٧) ؛

د ــ استغلال المدينة للريف ؛ هـ ــ هجرة السكان من الريف .

ان ريع الارض هو ذلك الجزء من فائض القيمة الذي يتبقى بعد استخلاص متوسط الربح على رأس المال الموظف . ويمكن احتكار الارض لمالك من امتلاك هذا الفائض ، وسعر الارض (= الريع المرسمل) يبقي على الريع عند الحد الذي بلغه . ومن الواضح أن الريع « يعوق » الترشيد الكامل للزراعة : ففي ظل نظام المزارع المستأجر يصبح الدافع للتحسينات اضعف ، وفي ظل نظام الرهن يتعين توظيف الجزء الاعظم من الرأسمال لا في الانتاج بل في شراء الارض.

ويشير السيد بولجاكوف في اعتراضه **أولا** الى انه « لا وجود لاي شيء مفزع » في ازدياد ديون الرهن. ولكنه ينسى أن كاوتسكي يشير بهذا المعنى على وجه الدقة لا بأي « معنى آخر » ــ الى ضرورة ازدياد الرهونات حتى عندما تزدهر الزراعة (انظر فيما سبق ــ المقالة الاولى (٢)) . وفي هذا الصدد ، فان كاوتسكي لا يثير مسألة ما اذا كان ازدياد الرهونات « مفزعا » أم لا ، بل يتساءل عن الصعوبات التي تعوق الرأسمالية عن انجاز رسالتها .

ثانيا ــ في رأي السيد بولجاكوف ــ « فانه نادرا ما يكون من الصحيح النظر الى الريع بوصفه عقبة فحسب ... فارتفاع الريع وامكانية ارتفاعه هما بمثابة الحاضر المستقل بالنسبة للزراعة ، ويحفز تقدم التقنية وكافة الاشكال الاخرى من التقدم

process) من الواضح ان كلمة « عملية » progress خطأ مطبعي). ان حوافز التقدم في الزراعة الرأسمالية هي : نمو السكان ، ونمو المنافسة ، ونمو الصناعة، ولكن الريع ، جزية يجبيها مالك الارض من التطور الاجتماعي ، من نمو التقنية . وعلى ذلك ليس من الصحيح القول بان زيادة الريع « حافز **مستقل** » للتقدم . فمن الناحية النظرية يمكن ان يوجد الانتاج الرأسمالي في غياب الملكية الخاصة للارض ، اي عند تأميم الارض (كاوتسكي ص ٢٠٧) ، حيث ينعدم وجود الريع المطلق ، وحيث تضع الدولة يدها على الريع التفاضلي . ولن يضعف ذلك التقدم الاقتصادي الزراعي ، بل ان الامر على عكس ذلك ، فسوف يزيده .

يقول كاوتسكي : « لا يمكن ان يكون هناك شيء اكثر خطأ من الظن بان من مصلحة الزراعة ان ترفع قسرا (in die Hôhe treiben) اسعار العقارات او ان تبقي عليها مرتفعة على نحو مصطنع ، ان هذا في مصلحة الملاك الحاليين augenblick lichen ، في مصلحة بنوك الرهن والمضاربين على الممتلكات العينية ، ولكنه ليس في مصلحة الزراعة ، ولا هي في مصلحة مستقبلها على اقل تقدير ، ولا في مصلحة الجيل المقبل من المزارعين » (ص ١٩٩) . اما فيما يخص سعر الارض فهو ليس سوى الريع المرسمل Capitalised rent

اما الصعوبة الثانية التي تواجه الزراعة

التجارية فهي انها تتطلب بالضرورة الملكيـــة الخاصـــة للارض . وهذا يؤدي الى وضع تصبح فيه الارض أما مفتتة من خلال انتقالها للورثة (بل ، ان هذا التفتت يؤدي الى التقهقر فــــي **بعض الاماكن**) او مثقلـــة بالرهونات (عندما يدفع الوارث الذي تلقى الارض للورثة الاخرين رأس المال النقدي الذي اخذه كرهـــن الارض) . ويلـــوم السيد بولجاكوف كاوتسكي لانـــه « أغفل ، في عرضه ، الجانب الايجابي » في عملية تداول الارض . ان هذا اللوم لا اساس له عــــلى الاطلاق ، لان كاوتسكي بين لقرائه بكل وضوح فـــي الجزء التاريخي من كتابه (وعلى الاخص في الفصل الثالث من الجزء الاول الذي يدرس الزراعةالاقطاعية واسباب قهر الزراعة الراسمالية لها) وكذلك فـــي الجزء التطبيقي* الجانب الايجابي والضرورةالتاريخية للملكية الخاصة للارض ، ولاخضاع الزراعة للمنافسة وبالتالي لعملية تداول الارض . واما اللوم الاخر الذي يوجهه السيد بولجاكوف الى كاوتسكي بالذات لانه لم يدرس مسألة « الدرجات المختلفة لنمو السكان فـــي المناطق المختلفة » فانه لوم ليس في وسعنا فهمه . فهل يتوقع السيد بولجاكوف حقا ان يجد فـــي كتاب كاوتسكي دراسات في علم توزيع السكان ؟

---

* اعرب كاوتسكي بكل ما لديه من تاكيد عن معارضته لاي تقييد من تقييدات العصور الوسطى لحركة تداول الارض للوقف (Fideicommissum, Anerbenred) وللابقاء على مشاعة العصور الوسطى الفلاحين (ص ٢٣٢) .. الخ

ودون ان نخوض في مسألة الوقف التي لن تضيف شيئا جديدا الى ما قلناه ، سوف نمضي الى دراسة استغلال الريف من قبل المدينة . ان تأكيد السيد بولجاكوف على ان كاوتسكي « لم يضع الجوانب الايجابية في مواجهة الجوانب السلبية ، وعلى رأس ذلك اهمية المدينة كسوق للانتاج الزراعي » ، تأكيد متناقض تماما مع الحقيقة . فكاوتسكي يدرس على نحو محدد تماما اهمية السوق بالنسبة للزراعة في الصفحة الاولى من الفصل الذي يدرس « الزراعة الحديثة » (ص ٣٠ وما يليها) .

وكذلك فان كاوتسكي قد عزا الدور الرئيسي في تحول الزراعة وفي ترشيدها ...الخ، الى «الصناعة المدينية » على وجه الدقة * .

من المحتمل ان هذا هو السبب في اننا لم نفهم كيف تسنى للسيد بولجاكوف ان يكرر في مقاله (ص٣٢ منتشالو العدد ٣) هذه الافكار ذاتها **علىانها معارضته لكاوتسكي** ! ان هذا لمثال صارخ على طريقة هذا الناقد الصارم في عرض كتاب يقوم بنقده . يقول السيد بولجاكوف لكاوتسكي موبخا اياه « لا ينبغي نسيان ان جزءا من القيم (التي تتدفق على المدينة) يعود للريف » . من ذا الذي يظن ان كاوتسكي يغفل عن هذه الحقيقة البسيطة . والحقيقة ان كاوتسكي يميز بين تدفق القيم (من الريف الى المدينة) في حالة

---

* قارن أيضا ص ٢١٤ حيث يناقش كاوتسكي الدور الذي يلعبه رأس المال المديني في ترشيد الزراعة .

عودتها بمردود يكافىء حالة عدم عودتها على نحو اكثر وضوحا مما يسعى السيد بولجاكوف للقيام به . فلقد درس كاوتسكي اولا تدفق القيم السلعية من الريف الى المدينة دون مردود مكافىء gegentéistung (ص ٢١٠) (الريع الذي ينفق في المدن والضرائب والفوائد على القروض التي تحصلها بنوك المدينة) ويرى في ذلك — عن حق — استغلالا اقتصاديا للريف من قبل المدينة . بعد ذلك يناقش كاوتسكي مسألة تدفق القيم الذي يعود بمردود مكافىء ، اي تبادل الانتاج الزراعي في مقابل البضائع المصنفة . يقول : من وجهة نظر قانون القيمة فان هذا التدفق لا يعني استغلال الزراعة * ، ولكنه يؤدي في الحقيقة — على نفس النحو الذي تؤدي به العوامل التي ذكرناها — الى استغلالها الاقتصادي الزراعي stofflichen ، يؤدي الى افقار الارض من العناصر الغذائية » . (ص ٢١١) وفيما يتعلق بالاستغلال الاقتصادي الزراعي للريف من قبل المدن ، فان كاوتسكي يؤكد هنا ايضا واحدة من القضايا الاساسية لنظرية ماركس وانجلز، اي التناقض بين الريف والمدينة ، الذي يدمر الانسجام الضروري

---

* فليقارن القارىء بين عبارة كاوتسكي الواضحة التي اقتطفناها هنا وبين الملاحظة التالية للسيد برلجاكوف :

« اذا كان لكاوتسكي أن ينظر لاعطاء الحبوب للسكان غير الزراعيين بوصفه استغلالا من قبل المنتجين المباشرين للحبوب » ... الخ ليس في مقدور المرء تصديق أن يكتب ناقد قرأ كتاب كاوتسكي بكل انتباه كلمة « اذا » هذه !

والاعتماد المتبادل الضروري بين الزراعة والصناعة ، ذلك الشكل من التناقض الذي ينبغي ان يتلاشى مع انتقال الراسمالية الى مرحلة أرقى * .

يعتقد السيد بولجاكوف أن رأي كاوتسكي عن الاستغلال الاقتصادي الزراعي للريف agronomic exploitation من قبل المدينة راي « غريب » ، وأن « كاوتسكي يقف في هذا السبيل — وفي كافة الاحوال — على أرض من الوهم المطلق » (كذا !!!) وما يدهشنا هنا هو أن السيد بولجاكوف أن راي كاوتسكي الذي ينتقده يتطابق مع واحدة من الافكار الاساسية لماركس وانجلز . ولسوف يكون للقارىء حق في استنتاج أن السيد بولجاكوف يعتبر فكرة القضاء على التناقض بين الريف والمدينة « وهم مطلق » . واذا كان ذلك رأي الناقد حقا ، فاننا لن نتفق معه بكل تأكيد وسوف نتخذ جانب « الوهم » (في الحقيقة ليس جانب الوهم طبعا ، بل جانب الانتقاد الاكثر عمقا للراسمالية) . وليس الراي القائل بأن ازالة التناقض بين الريف والمدينة بالراي الجديد على أية حال ، بل هو رأي الاقتصاديين البرجوازيين

---

* وغني عن البيان أن الراي القائل بانه من الضروري ازالة التناقض بين المدينة والقرية في مجتمع المنتجين المتعاونين لا يتناقض أدنى تناقض مع الاعتراف بأن اجتذاب السكان للصناعة من الزراعة يلعب من الناحية التاريخية دورا تقدميا ولقد ناقشت ذلك في مكان اخر (دراسات ص ٨١ حاشية ٦٩) « انظر الطبعة الحالية مجلد ٢ ص ٢٢٩ » — الناشر .

المعتاد ، بل لقد استعاره بعض الكتاب ذوي النظرة الاكثر عمقا . وعلى سبيل المثال ، فان دوهرنغ يرى ان التناقض بين المدينة والريف « حتمي بطبيعة الاشياء ذاتها » .

وفضلا عن ذلك فان السيد بولجاكوف « مندهش » (!) من ان كاوتسكي يشير الى تزايد حدوث الاوبئة بين النباتات والحيوانات ، على انه أحد الصعوبات التي تواجه الزراعة التجارية والراسمالية. ويتساءل السيد بولجاكوف « وما علاقة ذلك بالراسمالية ..؟ فهل في وسع اي نظام ارقى أن يزيل ضرورة تحسين سلالات الماشية ؟ » ونحن بدورنا مندهشون لفشل السيد بولجاكوف في ان يفهم تماما راي كاوتسكي الواضح . لقد اكتسحت السلالات « المحسنة » بالانتخاب الصناعي السلالات القديمة التي نشأت عن الانتخاب الطبيعي . لقد أصبحت النباتات والحيوانات اكثر حساسية واكثر احتياجا للرعاية ، فمع وسائل الاتصال الحديثة تنتشر الامراض بسرعة مذهلة ، في الوقت الذي لا زالت فيه الزراعة فردية ومفتتة ، زراعة (فلاحية) صغيرة تفتقر دوما للمعرفة للمصادر الحديثة وتسعى الراسمالية المدينية الى استغلال كافة مصادر العلم الحديث لتطوير التكنيك الزراعي ولكنها تترك الوضع الاجتماعي للمنتجين عند المستوى البائس القديم ، ولا تنقل الحضارة المدينية الى المناطق الريفية على نحو منسجم ومنهجي . لا وجود لنظام اجتماعي ارقى

سوف يقضي على ضرورة تحسين سلالات الماشية (وبطبيعة الحال فان كاوتسكي لم يفكر في قول شيء من قبيل هذا الهراء) ، ولكن كلما تطور التكنيك ، أصبحت سلالات الماشية والنبات * أكثر حساسية للامراض ، وعانى التنظيم الاجتماعي الراسمالي من ضعف السيطرة الاجتماعية ومن انحطاط أوضاع الفلاحين والعمال .

و « الصعوبة » الاخيرة التي تواجه الزراعة التجارية والتي يذكرها كاوتسكي « نزوح السكان من الريف » ، وامتصاص المدينة لافضل القوى العاملة واكثرها فعالية وذكاء . أما السيد بولجاكوف فيرى أن هذه العبارة من حيث الصياغة العامة «غير صحيحة في كافة الاحوال » وأن « النمو الراهن للسكان المدينيين على حساب الريفيين لا يعبر بأي معنى عن قانون تطور الزراعة الراسمالية » ، بل هجرة السكان الزراعية الى المستعمرات. اعتقد ان السيد بولجاكوف مخطىء ، فنمو السكان المدينيين (أو الصناعيين على نحو أعم) **على حساب** السكان الريفيين ليس ظاهرة تخص الوقت الراهن فحسب بل ظاهرة عامة **تعبر على وجه الدقة عن قانون الراسمالية** والاسس النظرية لهذا القانون . كما أشرت الى ذلك في موقع اخر **

* تطور الراسمالية في روسيا الفصل الاول قسم ٢ والفصل الثامن قسم ٢ (انظر الطبعة الحالية الانجليزية المجلد الثالث — الناشر) .

** وهذا هو السبب في أن كاوتسكي يوصي في الجزء العملي من كتابه بالفحص البيطري للماشية وبالشروط اللازمة لرعايتها .

هي أولا : ان نمو تقسيم العمل الاجتماعي ينتزع من الزراعة البدائية عددا متزايدا من فروع الصناعة * **وثانيا** أن راس المال المتغير اللازم للعمل في قطعة ارض معينة يتناقص في مجمله . (قارن رأس المال (الالمانية) الجزء الثالث (٢) ص ٧٧ ، الترجمة الروسية ص ٥٢٦ (٨) ، **الذي اقتطفته من كتابي تطور** الرأسمالية في روسيا ص ٤ ، ٤٤٤) ** . **لقد أشرنا** من قبل الى أننا نلاحظ في حالات معينةوفترات معينة زيادة في رأس المال المتغير اللازم لزراعة قطعة معينة من الارض ، ولكن ذلك لا يؤثر على صحة القانون العام . وبطبيعة الحال فان كاوتسكي لا يفكر في انكار ان التناقص النسبي للسكان الزراعيين لا يصبح في كل الاحوال تناقصا مطلقا ، فهذه الدرجة من التناقص

---

* يقول السيد بولجاكوف مشيرا الى هذا الظرف أن « السكان الزراعيين يمكن أن يتناقصون **نسبيا** (التشديد من عنده) حتى عندما تزدهر الزراعة » . ان هذا ليس « ممكنا » فحسب بل هو **«ضروري»** في المجتمع الرأسمالي ... ويستنتج السيد بولجاكوف « أن التناقص النسبي (في السكان الزراعيين) يشير هنا فحسب (كذا !) الى نمو فروع جديدة من العمل الانساني » ان هذا لامر غريب « فحسب » فالفروع الجديدة من الزراعة تجتذب في الواقع « أكثر القوى العاملة فاعلية وذكاء » من الزراعة . ومن هنا فان هذا السبب البسيط كاف لان يتمكن المرء من الموافقة على أطروحة كاوتسكي على **اعتبار انها صحيحة تماما** : فالتناقض النسبي للسكان الريفيين يؤكد بما فيه الكفاية صحة الاطروحة العامة القائلة « بأن الرأسمالية تستقطب أكثر القوى العاملة فاعلية وذكاء من الزراعة » .

** انظر الطبعة الحالية مجلد (٣) ص ٤٠ ، ٥٦١ — **الناشر**

المطلق تتحد بنمو المستعمرات الراسماليـة . ويشير كاوتسكي الى نمو هذه المستعمرات الراسماليـة التي تغمر اوروبا بالحبوب الرخيصـة (هـروب سكـان الارياف من الارض land flucht الذي يؤدي الـى هجرة سكان الريف الاوروبي ، يجلب حشـودا مـن سكان الريف النشطاء والمفتولي العضلات لا الى المدن فحسب بـل والى المستعمرات أيضا ، ص ٥٤٢) . فظاهرة حرمان الزراعة من اقوى عمالهـا وانشطهـم واذكاهم ، ظاهرة لا في البلاد الصناعية فحسب بـل في البلاد الزراعية أيضا ، لا في أوروبا فحسب بـل وفي أميركا وروسيا أيضا . ويؤدي الى ذلك التناقض الذي تخلقه الراسمالية بين حضارة المـدن وبربريـة الريف. والحجة القائلة بأن «تناقص سكان الارياف مع وجود زيادة عامة في السكان (ونمو في المدن) شيء مفهوم تماما دون استيراد الحبوب (فانتاجية العامـل الزراعي تتزايد وهذا يمكن عددا اقل من العمال مـن انتاج قدر مساو بل قدر أكبر مما كـان ينتج فـي السابق) . فالزيادة العامة في السكان تتوارى مـع تناقص سكان الارياف والتناقص (أو الزيـادة غـير المتناسبة) في كمية المنتجات الزراعيـة أيضـا شيء مفهوم ـ « مفهوم » لان افقار الناس قـد ازداد سوْا في ظل الراسمالية .

ويؤكد السيد بولجاكوف ان الزيادة في المزارع الفلاحية المتوسطة الحجم في المانيا في الفترة مـن ١٨٨٢ الى ١٨٩٥ ، وهي حقيقة يعتبرها كاوتسكي ،

ويربطها بحقيقة اخرى هي أن هذه المزارع تعاني بعض النقص في القوى العاملة ، هذه الزيادة « قادرة على زعزعة مجمل بنية » حجة كاوتسكي . فلنتمعن في عبارات كاوتسكي على نحو أكثر دقة .

طبقا للاحصاءات الزراعية ، فان أكبر زيادة في المساحة في الفترة من ١٨٨٢ الى ١٨٩٥ ، جرت في المزارع من ١٥ الى ٢٠ هكتار . فقد احتلت هذه المزارع ٢٨،٨ ٪ من جملة مساحة المزارع وفي ١٨٩٥ احتلت ٢٩،٩ ٪ . ولقد صاحب هذه الزيادة في مجمل مساحة المزارع المتوسطة الحجم الفلاحية تناقص في مساحة المزارع الكبيرة (من ٢٠ الى ١٠٠ هكتار في سنة ١٨٨٢ ، ٣١،١ ٪ ، ١٨٩٥ ، ٣٠،٣ ٪) ويقول كاوتسكي : « أن هذه البيانات سرت قلوب كافة المواطنين الصالحين الذي يعتبرون الفلاحين أقوى الدعامات طرا للنظام القائم . وصاحوا بانتصار « وبهذه الطريقة ، فان هذه الزراعة برسوخها وثباتها لا تنطبق عليها عقيدة ماركس » . ان هذه الزيادة في المزارع الفلاحية المتوسطة تفسر بأنها فاتحة عهد جديد من ازدهار الزراعة الفلاحية ويرد كاوتسكي على أولئك المواطنين الصالحين : « ولكن هذا الازدهار ضارب بجذوره في مستنقع » ، « فهو لم ينشأ من رفاهية الفلاحين ، ولكن من ركود الزراعة ككل » (٢٣٠) ، ويقول كاوتسكي قبل ذلك بقليل « ورغم كل التقدم التكنيكي الذي تم انجازه في **بعض الاماكن** (التشديد من عند كاوتسكي) فان هناك تدهورا في الزراعة ،

ولا ريب في ذلك » (٢٢٨) . ويؤدي هـذا التدهور – على سبيل المثال الى احياء الاقطاع – الى محاولات لربط العمال بالارض ، وفرض التزامات معينة عليهم . فهل من الغريب ان تعود الى الوجود هـذه الاشكال المتخلفة من الزراعة على أرض هذا الركود ؟ وان يكون في وسع الفلاحين – الذين يتميزون بصفة عامة عـن العمال الذين يستخدمون في الانتاج الكبير ، بمستوى احتياجاتهم المنخفض وبأنهم أكثر قـدرة على الجوع ، وأكثر بذلا للجهد أثناء العمل ، بأن يكون فـي وسعهم الصمود لمدة أطول أثناء الازمة * ؟ «ان الازمة الزراعية

* يقول كاوتسكي في موقع اخر : « ان المزارعين الصغار يصمدون لفترة اطول في وضع ميئوس منه . ولنا كل الحق في أن نشك في أن هذا يشكل ميزة للانتاج الصغير » .

وبهذه المناسبة فلنتذكر بيانات تؤيد رأي كاوتسكي أوردها كوينج Koenig في كتابه ، الذي وصف فيه تفضيلا حالة الزراعةالانجليزية في عدد من الاقاليم التي اتخذت كنموذج (حالة المزارع الانكليزية) الخ
Dielage die englischen landwirtschaft.... etc.
Jena 1896 von Dr. E. Koenig)
في هذا الكتاب نجد أي قدر من الادلة على العمل الزائد والاستهلاك المتضائل من جانب المزارعين الصغار ، بالمقارنة بالعمال بالاجر ، بل ولا نجد دليلا على عكس ذلك . فنحن نقرأ على سبيل المثال أن المزارع الصغيرة تدفع « نظرا للكد الهائل immence والاكتفاء بأقل القليل (٨٨) » ، « وان مباني المزارع الصغيرة متدنية (١٠٧) ، وأن الملاك الصغار yeoman farmen الكلمتان بالانجليزية في الاصل » أسوأ حالا من المزارعين المستأجرين (١٤٩) ، « وان حالتهم بائسة للغاية (في لنكولنشير) ، وان اكواخهم اسوأ من العمال المستخدمين في المزارع الكبيرة ، وأن بعضهم في أسوأ حال . وأن الملاك الصغار

تؤثر في كافة الطبقات الزراعية المنتجة للسلـع ، ولا يتوقف أثرها عند الفلاحين المتوسطين » (ص ٢٣١).

ولا ريب أن هذه العبارات التي كتبها كاوتسكي

→

يعملون بكد ساعات اكبر من العمال العاديين ، ومع ذلك يحصلون على الاقل . منهم يعيشون حياة اكثر بؤسا وياكلون كمية اقـل من اللحم ... وأولادهم وبناتهم يعملون بلا مقابل ويلبسون الاسمال » (١٥٧) . « ان المزارعين الصغار يعملون كالعبيد ، وفي الصيـف يعملون من الثالثة صباحا الى التاسعة مساءا ، (تقرير الغرفة الزراعية في بوسطن ص ١٥٨) . ويقول أحد كبار المزارعين « لا ريب أن المزارع الصغير (حرفيا الرجل الصغير derkleine mann الذي يملك راسمالا صغيرا والذي يقوم افراد اسرته بكل العمل في مزرعته ، يجد من السهل عليه أن يقتطع من نفقات المنزل ، بينمـا يتعين على المزارع الكبير اطعام عماله بنفس القدر من الجودة سواء في سنوات الرخاء أو سنوات الفقر » (٢١٨) فالمزارعون الصغار (في ايرشاير Ayreshire « يبذلون جهدا فوق الطاقة ungehener ولا يبذل اطفالهم ونساؤهم جهدا أقل من ذلك ، فهم يعملون دائمـا اكثر من العمال المياومين ، ويقال أن اثنين منهم ينجزان من العمـل قدر ما ينجز ثلاثة من العمال بالاجر » (٢٣١) « ان حياة المزارع المستأجر الصغير ، الذي يعل وتعمل معه اسرته كلها هي حيـاة العبيد » (٢٥٣) « واذا تحدثنا بصفة اجمالية ... فان المزارعين الصغار من الواضح أنهم اكثر قدرة على الصمود في مواجهة الازمة من المزارعين الكبار ولكن ذلك لا يعني حتما أن المزارع الصغير (حرفيا الرجل الصغير klémo mann اكثر ربحا . فالسبب في ذلك في راينا هو أن المزارع الصغير يستغل المساعدة غير المدفوعة الاجر لاسرته .. وعادة ما تعمل اسرة المزارع الصغير باكملها فـي الزراعة ... فالاطفال يأكلون ويلبسون ونادرا ما يحصلون على أجر محدد » (٢٧٧ — ٢٧٨) ... الخ .

واضحة للغاية بحيث لا يظن المرء ان من المستحيل فهمها .. ومع ذلك فقد فشل الناقد في فهمها . ولا يصل السيد بولجاكوف الى راي : فهو لم يخبرنا عن الكيفية التي يفسر بها هذه الزيادة في المزارع الفلاحية المتوسطة ، بل ينسب الى كاوتسكي الرأي القائل بأن « تطور الخط الانتاجي الرأسمالي يدمر الزراعة » ويهتف السيد بولجاكوف غضبا « ان قول السيد كاوتسكي بأن الزراعة تصيبها الدمار قول خاطىء ، ومتعسف ولا برهان عليه ويتناقض مع حقائق الواقع الاساسية » .

وبالنسبة لذلك فاننا نقول ان السيد بولجاكوف **ينقل افكار كاوتسكي بصورة خاطئة.** ذلكان كاوتسكي لم يقل ان تطور الراسمالية يدمر الزراعة ، بل يقول العكس . فليس في وسع المرء ان يستنتج من كلام كاوتسكي عن ركود (=ازمة) الزراعة وعن التدهور التكنيكي الذي يلاحظ **في بعض الاماكن (لاحظ ذلك جيدا)** انه يتحدث عن « دمار » و« هلاك » الزراعة، الا اذا كان عديم الانتباه عند قراءته لكتاب كاوتسكي. ففي الفصل العاشر الذي يدرس بصفة خاصة مسألة المنافسة عبر البحار (او بعبارة اخرى ، السبب الرئيسي للازمة الزراعية) يقول كاوتسكي : «ان الازمة الوشيكة لا تستلزم بالضرورة (braucht nicht) بطبيعة الحال naturlich دمار الصناعة التي تؤثر فيها ، فهي لا تفعل ذلك الا في حالات نادرة . وفي اغلب الاحيان ، لا تتسبب الازمة الا في تغيير علاقات

الملكية القائمة في المجتمع الراسمالي » (٢٧٣ــ٢٧٤).
ان هذه الملاحظة التي قيلت بصدد الازمة في الصناعات الزراعية تبين بوضوح راي كاوتسكي عموما عن دلالة الازمة . وفي الفصل ذاته يعرب كاوتسكي عن هذا الراي مرة اخرى في صلته بالزراعة في مجملها : « ما قلناه من قبل لا يعطي المرء ادنى حق في الحديث عن هلاك الزراعة ،
Man braucht deswegen noch lange nichte von einem untergang dev landwirtschaft zu sprechen,
ولكن حيث يترسخ نمط الانتاج الجديد فانها تفقد الطابع المحافظ للابد . فاستمرار النظام القديم das verharrenbien alfen يعني الحاق الدمار بالمزارع الى حد ما ، فعليه ان يكون يقظا باستمرار لتطور التكنيك وان يعدل اساليب انتاجه وفقا للشروط الجديدة ... فحتى في الحياة الاقتصادية للقطاعات الريفية ، التي ظلت حتى الان تسير باسلوب ابدي لا تحيد عنه ، قد شملتها حالة من التثوير الدائم، وهي حالة يتميز بها نمط الانتاج الراسمالي » (٢٨٩).
«ولا يفهم» السيد بولجاكوف كيف ان الاتجاهات نحو تطور القوى المنتجة في الزراعة يمكن ان تقترن باتجاهات تؤدي الى زيادة المصاعب التي تواجه الزراعة التجارية . فما هو غير المفهوم في هذا ؟ ان الراسمالية في كل من الزراعة والصناعة تعطي دفقة قوية لتطور القوى المنتجة ؟ ولكن هذا التطور على وجه التحديد هو الذي يتسبب كلما تقدم في ان

تصبح تناقضات الرأسمالية اكثر حـدة ، ويخلـــق مصاعب جديدة للنظام . ان كاوتسكي يطور واحدة من افكار ماركس الاساسية ، الذي اكد فيها على نحــو قاطع الدور التاريخي التقدمي للرأسمالية الزراعيـــة (ترشيد الزراعة ، انفصال الارض عـــن المزارع ، تحرير سكان الريف من علاقة السيد والعبد ..الخ) ، وفي الوقت ذاته اشار على نحو لا يقل عن ذلك في قطعية الى افقار واضطهاد المنتجين المباشرين والى واقع ان الرأسمالية لا تنسجم مع متطلبات ترشيـــد الزراعة . فمن الغريب حقا ان السيد بولجاكوف الذي يعترف بان « وجهة نظره الاجتماعية الفلسفية العامة هي ذاتها وجهة نظر كاوتسكي* ، يفشل في ملاحظة ان كاوتسكي يطور هنا فكـرة اساسية مـــن افكـــار ماركس . ولا بد ان يظل قراء **ناتشالو** في حيرة مـــن موقف السيد بولجاكوف تجاه هذه الفكرة الاساسية وان يصيبهم العجب من الكيفية التي يقول بها السيد بولجاكوف « لا خلاف على المبادىء » ؟! ** وذلـــك نظرا لتطابق نظرتهم العامة للعالم . ونحـــن نسمح لانفسنا بعدم تصديق قول السيد بولجاكوف ، ونعتبر النقاش بينه وبين غيره من الماركسيين ممكن بسبب

---

* بالنسبة لوجهة النظر الفلسفية للعالم ، فنحن لا نعرف ما اذا كان يقوله السيد بولجاكوف صحيحا . على أن كاوتسكي لا يبدو مناصرا للفلسفة النقدية كما هو حال بولجاكوف

** باللاتينية في الاصل :
de principils nonest disputandum.

هذه المشاركة في « المبادىء » Principin على وجه الدقة . فالسيد بولجاكوف يردد ببساطة احد هذه « المبادىء » **حين يقول ان الراسمالية ترشد الزراعة وان الصناعة تمد الزراعة بالمكينة .. الخ ،** ولكن ما يجب عليه فحسب هو الا يقول « نقيض ذلك على طول الخط » في هذا السياق • فقد يظن القراء ان كاوتسكي يتمسك براي مخالف ، في حين انه **يطور على وجه التحديد والتاكيد هذه الافكارالرئيسية** لماركس في كتابه . يقول « ان الصناعة على وجه الدقة هي التي خلقت الشروط التكنيكية والعملية لزراعة جديدة ومرشدة . فالصناعة هي التي ثورت **الزراعة على وجه الدقة ، عن طريق الماكينات** والاسمدة الصناعية ، وعن طريق الميكروسكوب والمعمل الكيميائي ، وادت بهذه الطريقة الى نشأة التفوق التكنيكي للانتاج الراسمالي الكبير على الانتاج الفلاحي الصغير » (ص ٢٩٢) . وبهذه الطريقة فان كاوتسكي لم يقع في التناقض الذي نجد السيد بولجاكوف يتخبط فيه . فمن ناحية نجد السيد بولجاكوف يعترف بان « الراسمالية (اي الانتاج الذي ينجز بمساعدة العمل المأجور اي غير الفلاحي ، بل الانتاج الكبير ؟) ترشد الزراعة » ، بينما يزعم من ناحية اخرى « ان الانتاج الكبير ليس هو ناقل التقدم التكنيكي ! » .

-٢-

يدرس الفصل العاشر من كتاب كاوتسكي مسألة المنافسة عبر البحار وتصنيع الزراعة . والسيد بولجاكوف يتعامل بخشونة مع هذا الفصل ويقول : « لا شيء جديد او اصيل على نحو خاص ، والحقائق الاساسية معروفة الى هذه الدرجة او تلك » ، تاركا في الخلفية المسألة الاساسية ، الا وهي مفهوم الازمة الزراعية ودلالتها وجوهرها . مع ان هذه المسألة ذات اهمية نظرية هائلة .

ان مفهوم الازمة الزراعية ينتج بالضرورة عن المفهوم العام للتطور الزراعي الذي عرّفه ماركس وشرحه كاوتسكي . يرى كاوتسكي ان جوهر الازمة الزراعية في واقع ان الزراعة في اوروبا قد فقدت فرصة تحويل الاعباء المفروضة عليها من خلال الملكية الخاصة للارض والانتاج السلعي الراسمالي ، نظرا لمنافسة البلاد التي تنتج حبوبا رخيصة للغاية ، ومن الان فصاعدا فان الزراعة في اوروبا « **لا بد لها ان تتحملها** (اي هذه الاعباء) ، **وهذا ما يعتبر بمثابة الازمة الزراعية**» . (ص ٢٣٩ — التشديد لكاوتسكي). فريع الارض هو العبء الرئيسي . في اوروبا ارتفع ريع الارض بتطور تاريخي سابق الى مستوى مرتفع للغاية (كل من الريع التفاضلي والمطلق) . ويثبت من

خلال سعر الارض* ومن ناحية اخرى في المستعمرات (اميركا والارجنتين وغيرهما) ، بقدر انها لا تزال مستعمرات، نجد أرضا **مجانية** free يحتلها مستوطنون جدد اما على سبيل الهبة او في مقابل اسعار زهيدة، فضلا عن ان خصوبة الارض البكر تخفض تكاليف الانتاج الى ادنى حد . وحتى الان كانت الزراعة الرأسمالية في اوروبا تنقل اعباء الايجارات العالية جدا الى المستهلك بطبيعة الحال (في شكل ارتفاع اسعار الحبوب) ، اما الان فان اعباء الايجارات هذه تقع على كاهل المزارعين وملاك الارض انفسهم وتصيبهم بالخراب ** وبهذه الطريقة فان الازمة الزراعية تعكر — وستظل تعكر — صفو الرخاء الذي تمتعت به في السابق الملكية الراسمالية للارض والزراعة الرأسمالية . لقد فرضت الملكية الرأسمالية للارض حتى الان اتاوة دائمة التزايد على التطور الاجتماعي ، وحددت مستوى هذه الاتاوة بثمن الارض . والان يتعين عليها ان تمتنع عن هذه

* بالنسبة لعملية تضم الريع وتثبيته انظر ملاحظات بارفوس Parvus القديرة **في السوق العالمي والازمة الزراعية** ، ويشارك بارفوس كاوتسكي الراي فيما يتعلق بالازمة الزراعية والمسألة الزراعية بصفة عامة .

** بارفوس ، المرجع السابق ص ١٤١ ، وهي مقتطفة في عرض **كتاب** بارفوس في **ناتشالو** العدد ٣ (انظر المجلد ٤ ص ٦٦ **من اعمال** لينين — الناشر) وينبغي علينا أن نضيف أن « مصاعب » الزراعة **التجارية الاخرى التي تواجه اوروبا تؤثر في المستعمرات بدرجة اقل** من أن تقارن بها .

الاتـاوة * . فالزراعـة الراسمالية قـد ردت الـى حالة عـدم الاستقرار التي تتميـز بهـا الصناعة الراسمالية ، وهي مجبرة على ان تكيف نفسها وفقا لشروط السوق الجديدة .

ان الازمة الزراعية مثلها في ذلك مثل كل ازمة تفلس الكثير من المزارعين ، وتؤدي الى نشأة تغييرات هامة في علاقات الملكية المستقرة ، وتؤدي في بعض الاماكن الى تدهور التكنيك ، والـى احيـاء علاقات واشكال اقتصادية في العصر الوسيط . ولكنها اذا فهمت في مجملها تؤدي الى تعجيل التطور الاجتماعي، وتحرم الركود الابوي (البطريركي) من ملاذه الاخير، وتجعل المزيد من التخصص الزراعي ضروريا (وهـو عامل رئيسي في تقدم الزراعة فيالمجتمع الراسمالي). وتجعل من الضروري ايضا ازدياد استخدام المكينة . وعلى وجه الاجمال ، كما يوضح ذلك كاوتسكي ببيانات عن عدة بلدان — في الفصل الرابع من كتابه — نجد تقدما تكنيكيا حتى في اوروبا الغربية ، رغم الكساد الزراعي في فترة ١٨٨٠ — ١٨٩٠ ، ونحن نقول حتى

* ينتج الريع المطلق عن الاحتـكار . « ولسوء الحـظ فان الريع المطلق له حد ... ولقد كان حتى الوقت الراهن يتزايد بثبات فـي اوروبا مثلما هو حال الريع التفاضلي ولكن المنافسة عبر البحار تضت على هذا الاحتكار الى حد بعيد . وليست لدينا اسباب للظن بانالريع التفاضلي في أوروبا يعاني نتيجة للمنافسة عبر البحار ، ما عدا في بعض الانحاء في انجلترا ... ولكن الريع المطلق قد انخفض وهذا يعود بالنفع (zugute gekommen) على الطبقات العاملة بصفة أولية » (ص ٨٠ — قارن ايضا ص ٣٢٨) .

في اوروبا الغربية لان هذا التقدم في اميركا عــــلى سبيل المثال لا يزال مرموقا . وباختصار ، **لا توجــد** هناك اسباب لاعتبار الازمة الزراعية عقبة في سبيل الرأسمالية والتطور الرأسمالي .

الملاحظات

١ ــ كانت النية معقودة على نشر دراسة لينين: « **الرأسمالية في الزراعة لكتاب كاوتسكي ومقالــة السيد بولجاكوف** » في مجلة **ناتشالو** ولكنهــا نشرت في مجلة **جيزن** نظرا لاغلاق هذه المجلة .

جيزن (الحياة) مجلة سياسية وادبية وعلمية صدرت في سانت بطرسبورج من ١٨٩٧ الى ١٩٠١ وفي سنة ١٩٠٢ كانت تصدر في الخارج ، ومن عام ١٨٩٩ فصاعدا كان يسيطر على المجلة « الماركسيون الشرعيون » .

٢ ــ كارل ماركس ، رأس المال ، المجلد الثالث، موسكو ١٩٥٩ ص ٦٠٣ .

٣ ــ روسكوي بوجاتستفو (ثــروة روسيا) مجلة شهرية صدرت في سان بطرسبرج مــن ١٩٧٦ الى اواسط ١٩١٨ ــ وفي باكورة التسعينات مــن القــرن التاسع عشر اصبحــت جريــدة **الشعبيين الليبراليين** وكان يحررها كريفنكو Krivenko ون. ك. ميخايلوفسكي Mikhailovsky . ولقد كانت المجلــة تدافع عن المصالحة مــع الحكومة القيصرية ، وتشن

حملة ضارية على الماركسية والماركسيين الروس .
وفي عام ١٩٠٦ اصبحت جريدة الحـزب الاشتراكي الشبعي شبه الكادش .

٤ ـ الاشارة هنـا لمقال ماركس الذي ينقـد مقالة كتبها أ. دي جيراردين « الاشتراكية والضرائب Socialisme et empôt » . وقـد صدر المقال فـي العدد الرابع من الجريدة الرينانية الجديدة ـ مجلة سياسية اقتصادية
Nev Reinische Zeitung - Politisch - ôkonomische Revue)
الصادرة في مايو ١٨٥٠ . وهذه الجريدة اصدرهـا ماركس في هامبورج فـي ١٨٥٠ وهـي استمرار للجريدة الرينانية الجديدة .

٥ ـ اشـارة لكتـاب **أثـر أسعـار الحبـوب والمحاصيل عـلى بعـض جوانب الاقتصاد الروسي** في جزئين ، صنفه مجموعـة مـن المؤلفين الليبراليين البرجوازيين وذوي الاتجاهات الشعبية (النازودنية) واشرف على تحريره الاستاذ أ. ي. تشوروف، أ. س. كوسينكوف ١٨٩٧ وقد قرأ لينين هـذا الكتاب حين كان فيالسجن ونقده في كتابه: **تطور الرأسمالية في روسيا** .

٦ ـ كارل ماركس ، راس المال، الجزء الثالث، موسكو ١٩٥٩ ـ من ص ٦٠٠ الى ص ٧٩٣ .

٧ ـ وقف الاراضي fidei commissum في ظل

هذا النظام تنقل الارض الى الابن الاكبر لصالحالوصية
ولا يمكن رهنها او تقسيمها او بيعها **جزئيا او كليا** .
ونظـــام anerbenecht نوع من وقف الاراضي الفلاحي
يخول مالك الارض حقا اكبر الى حد مـــا فيما يتعلق
بالارض الموروثة ولكنه يحظر تقسيم الارث .
٨ — راس المال ، المجلد الثالث ، موسكو ١٩٥٩
— ص ٦٢٢ .

عرض لكتاب كاوتسكي : المسالة الزراعية

(نظـرة عامة على اتجاهات الزراعـة الحديثة
والسياسة الزراعيـة)
شتوتجارت ـ ديتز ١٨٩٩

يعتبر كتاب كارل كاوتسكي اعظـم حـدث في **الكتابات الاقتصادية الراهنة منذ صدور المجلد الثالث من راس المال** . فلقد كانت الماركسية تفتقر حتى الان الى دراسة منهاجية للراسمالية في الزراعة . ولقـد سد كاوتسكي هذه الثغرة بكتابه « **تطور الزراعة فـي المجتمع الرأسمالي** » وهو الجزء الاول (يقع في ٣٠٠ صفحة) من كتابه الذي يقع في حجـم مجلـد (٤٥٠ صفحة) . فهو يشير على نحو صائب فـي تصديـره للكتاب الى ان « الغالبية العظمى » مـن كـم المـادة الاحصائية والوصفية الاقتصادية الهائل عـن مسألـة الرأسمالية الزراعية قد تراكم وأن هناك احتياجا ملحا للكشف عن « الاتجاهــات الاساسيـة » للتطـور الاقتصادي في هذا الفرع من الاقتصاد بهدف البرهنة على مختلف ظواهر الرأسماليـة الزراعيـة بوصفهـا « تجليات جزئية في عملية عامة واحدة (متكاملة) » eines gesammtprozesses وأنــه الامـر صحيح ان الاشكال الزراعية والعلاقات بين السكان الزراعيين في

المجتمع المعاصر تتسم بمثل هذا التنوع الهائل الى حد انه لا شيء أسهل من الامساك بكمية اجمالية من الوقائع والمؤشرات المأخوذة من اي بحث بحيث « تؤكد » آراء اي كاتب . وهذا على وجه التحديد هو المنهج الذي أتبعته الصحافة الشعبية (النارودنية) عندنا في عدد كبير من المناقشات ، تلك الصحافة التي تسعى للبرهنة على حيوية الاقتصاد الفلاحي بل وحتى تفوقه على الانتاج الكبير في الزراعة . ويعتبر بمثابة الملمح المميز لكافة هذه المناقشات انها تعزل الظواهر الفردية وتستشهد بالحالات الفردية ولا تقوم حتى بمحاولة ربطها بالصورة العامة للبنية الزراعية للبلدان الراسمالية بصفة عامة ولا بمحاولة ربطها بالاتجاهات الاساسية لمجمل التطورالراهن فيالزراعة الراسمالية. لم يقع كاوتسكي في هذا الخطأ الشائع . فلقد قضى ما يربو على العشرين عاما يدرس مسألة الراسمالية في الزراعة ، وكان في حوزته مادة غزيرة ، خاصة وان كاوتسكي يرتكز في بحثه على بيانات احدثالاحصاءات الزراعية واستمارات الاستبيان في انجلترا وأميركا وفرنسا (١٨٩٢) والمانيا (١٨٩٥) . ولم يضل طريقه وسط أكوام الوقائع كما انه لم يغفل عن رؤية الترابط بين أدق ظاهرة والبنية العامة للزراعة الرأسمالية والتطور العام للرأسمالية .

ولم يقصر كاوتسكي نفسه على دراسة مسألة جزئية واحدة ، على سبيل المثال العلاقات بين الانتاج الكبير والانتاج الصغير في الزراعة ، بل بحث المسألة

العامة التي تتعلق بما اذا كان راس المال قد وضع الزراعة تحت سيطرته ام لا والتي تتعلق بما اذا كانت توجد أشكال متغيرة للانتاج وأشكال متغيرة للملكية في الزراعة ، وكيف تجري هذه العملية . ولقد اعترف كاوتسكي تمام الاعتراف بالدور الهام الذي تلعبه أشكال الزراعة السابقة على الراسمالية pre - capitalist والزراعة اللاراسمالية non - capitalist في المجتمع الحديث ، واعترف بضرورة بحث العلاقة بين هذه الاشكال وبين الاشكال الراسمالية الخالصة ، ولقد بدأ بحثه بوصف رائع ودقيق للغاية للاقتصاد الفلاحي الابوي (البطريركي) وللزراعة في مرحلة الاقطاع . وبعد أن برهن على نقطة البداية بالنسبة لتطور الراسمالية في الزراعة يمضي في وصف « الزراعة الحديثة » . ولقد قدم الوصف بادىء ذي بدء من وجهة النظر التكنيكية (نظام المناوبة في المحاصيل ، تقسيم العمل ، المكننة ، الاسمدة ، البكتريولوجيا) ، ويقدم للقارىء صورة مشرقة عن الثورة العظيمة التي أحدثتها الراسمالية في عقود قليلة بجعلها الزراعة علما بدلا من كونها حرفة روتينية . بعد ذلك يأتي بحث « الطابع الراسمالي للزراعة الحديثة » ـ مكتوبا بلغة شعبية مختصرة ، ولكنه عرض دقيق للغاية وموهوب لنظرية ماركس عن الربح والريع ، ويوضح كاوتسكي أن نظام المزارع المستأجر ونظام الرهن ليسا سوى جانبين لعملية واحدة بذاتها كما لاحظ ماركس عملية فصل المنتجين الزراعيين عن الملاك . فالعلاقات

بين الانتاج الكبير والانتاج الصغير تبحث اذن ، ويصبح من الواضح ان التفوق التكنيكي للاول على هذا الاخير امر لا ريب فيه . ويبرهن كاوتسكي باقتدار على هذه الاطروحة ويوضح بالتفصيل كيف ان استقرار الانتاج الصغير في الزراعة لا يرتكز بأية حال على الترشيد التكنيكي للانتاج الصغير بل على واقع ان الفلاحين الصغار يعملون عملا اكثر مشقة من العمال بالاجر ويختزلون ضروريات حياتهم الى مستوى ادنى من هؤلاء العمال . وكانت البيانات المدعمة التي استشهد بها كاوتسكي ممتعة للغاية وقاطعة ، ولقد ادى تحليل مسألة الجمعيات في الزراعة بكاوتسكي الى الاستنتاج القائل بأن الجمعيات تعتبر بلا ريب مؤشرا الى التقدم ولكنها انتقال الى الراسمالية لا الى الانتاج المشاعي فالجمعيات لا تؤدي الى الاقلال بل تؤدي الى ازدياد تفوق الانتاج الكبير على الانتاج الصغير في الزراعة . وانه من العبث الظن بأن الفلاح في المجتمع الحديث يمكن ان يرجع الى الانتاج المشاعي . وفي العادة تتم الاحالة للبيانات الاحصائية التي لا تبين ان المنتج الصغير لا يستبعد من قبل المنتج الكبير بل التي تساعد فحسب في تبيان ان تطور الراسمالية في الزراعة اكثر تعقيدا بما لا يقاس عنه في الصناعة . وفي الصناعة ايضا لا ترتبط مظاهر مثل انتشار العمل الراسمالي في المنزل ... الخ على الدوام مع الاتجاه الاساسي للتطور . وبالنسبة للزراعة فان تعطل استبعاد المنتج الصغير بادىء ذي بدء بسبب

حجم مساحة الارض المحدود ، وبسبب بيع الحيازات الصغيرة لتكوين حيازة كبيرة يعتبر امرا صعبا للغاية ، فبالنسبة للزراعة المكثفة تكون الزيادة في كمية المنتجات متطابقة مع مدى صغر مساحة الارض (ولهذا السبب فان الاحصاءات التي تقدم بيانات عن حجم المزرعة على وجه الحصر ليس لها سوىأهمية ضئيلة). ويجري تركز الانتاج من خلال بيع الحيازات المتعددة عن طريق المالك الواحد ، ومن هنا فان العزبه (اللاتيفونديا Latifundia) تشكل عونا بوصفها اساسا لواحد من أعلى أشكال الزراعة الراسمالية الكبيرة . واخيرا فانه لن يكون حتى من المفيد بالنسبة لكبار الملاك أن يطردوا الملاك الصغار كلية : فهؤلاء يمدونهم بالايدي العاملة ! وهذا هو السبب في ان كبار الملاك والراسماليين يمررون على الدوام القوانين التي تدعم الفلاح الصغير على نحو مصطنع . فالزراعة الصغيرة تصبح مستقرة عندما لا تنافس الزراعة الكبيرة عندما تتحول الى متعهد قوة العمل لهذه الاخيرة ، فالعلاقات بين الملاك الكبار والملاك الصغار تشبه على نحو قريب العلاقات بين الراسماليين والبروليتاريين . ولقد خصص كاوتسكي فصلا خاصا لـ « تحول الفلاحين الى بروليتاريا » وهو فصل غني بالمعلومات ، وعلى الاخص في موضوع « الاعمال الاضافية » للفلاحين اي مختلف أشكال العمل بالاجر.

وبعد ان يوضح كاوتسكي السمات الاساسية لتطور الرأسمالية في الزراعة ، يمضي في البرهنة

على الطابع الانتقالي تاريخيا لذلك النظام من الاقتصاد الاجتماعي . فكلما تطورت الرأسمالية كانت المصاعب التي تواجه الزراعة التجارية (البضاعية) أكبر . فاحتكار ملكية الارض (ريع الارض) وحق الارث والعقارات الموقوفة (١) ، تعوق ترشيد الزراعة . أن المدن تستغل القرى الى أبعد مدى ، تأخذ افضل القوى العاملة من المزارعين ، وتمتص قسما متعاظما باستمرار من الثروة التي ينتجها السكان الريفيون ، حيث لم يعد السكان الريفيون يستطيعون العودة للارض التي أخذت منهم . ويدرس كاوتسكي بتفصيل كبير بصفة خاصة اخلاء السكان من الريف ويعترف تماما بان الطبقة الوسطى من المزارعين هم الذين يعانون من نقص القوة العاملة ، وهو يضيف ان « المواطنين الصالحين » (وينبغي علينا ان نضيف : والشعبين (النارودنيك) الروسي) يخطئون في فرحهم بهذا الواقع ، وبظنهم انهم يمكنهم ان يروا في ذلك ميلادا جديدا للفلاحين وذلك ما يدحض امكانية تطبيق النظرية الماركسية على الزراعة. فالفلاحون قد يعانون اكثر من غيرهم من نقص العمل المأجور ولكنهم يعانون اكثر من ذلك من الرباوالاضطهاد الضريبي وعدم ترشيد اقتصادهم واجهاد التربة والكدح المكثف والاستهلاك المنخفض . فواقع ان لا العمال الزراعيين فحسب بل حتى اطفال الفلاحين يهربون الى المدن هو دحض واضح لآراء الاقتصاديين البرجوازيين الصغار ذوي العقول المتشائمة !. ولكن

التغيرات الهائلة في ظروف الزراعة الاوروبية نتجت عن منافسة الحبوب الرخيصة التي تستورد من اميركا والارجنتين والهند وروسيا وغيرها من البلاد . لقد قام كاوتسكي بدراسة مفصلة لدلالة هذا الواقع الذي نشأ عن تطور الصناعة في البحث عن أسواق . لقد وصف انهيار انتاج الحبوب في أوروبا تحت وطأة هذه المنافسة وكذلك انخفاض الريع ، وقام بدراسة مفصلة على نحو خاص لـ « تصنيع الزراعة » الذي يتبدى من ناحية في العمل الصناعي بالاجر لصغار الفلاحين ومن ناحية اخرى في تطور الانتاج التكنيكي الزراعي (التقطير ، وتكرير السكر .. الخ) ، حتى في حالة استبعاد بعض فروع الزراعة من قبل الصناعات المعملية . ويقول كاوتسكي ان الاقتصاديين المتفائلين يخطئون في الظن بان مثل هذه التغيرات في الزراعة الاوروبية يمكن ان تنقذها من الازمة ؛ فالازمة تنتشر ويمكن ان تنتهي فحسب بالازمة العامة للرأسمالية ككل . ولا يعطي ذلك بطبيعة الحال اي امرىء الحق في الحديث عن خراب الزراعة ، بل ان طابعها المحافظ هو الذي مضى الى غير رجعة وهي تمر بحالة من التغيير الدائم ، وهي حالة تعتبر نموذجا لخط الانتاج الرأسمالي في عمومه . « مساحة كبيرة من الارض في ظل الانتاج الزراعي الكبير ، تلك التي يصبح الطابع الرأسمالي لها امرا مسلما به على نحو متزايد ؛ وازدياد التأجير والرهن ، وتصنيع الزراعة ــ هذه هي العناصر التي تمهد الارض لاضفاء الطابع الاجتماعي

socialisation على الانتاج الزراعي ... » ويقــول كاوتسكي في الختام انه من العبث الظن ان جانبا في المجتمع يتطور في اتجاه والجانب الاخر في الاتجــاه المضاد ، ففي الواقع الفعلي « يتخذ التطور الاجتماعي في الزراعة نفس الاتجاه الذي تتخذه الصناعة » .

ان كاوتسكي بتطبيقه لتحليله النظري على مسألة السياسة الزراعية يعارض بطبيعة الحال كل المحاولات الرامية لتدعيم او « لانقاذ » الاقتصاد الفلاحي .

ويقول كاوتسكي انه ليس هنـــاك مـــن سبب معقول حتى للظن بان مشاعية القرية يمكن ان تعيد الى الوجود الزراعة المشاعية الواسعة النطاق (٣٣٨ قسم « مشاعية القرية der dorfkommunismus » قارن ص ٣٣٩) .

« ان حمايـــــة الفلاحين der bauernschutz لا تعني حماية **شخص** الفلاح (فـــلا احـــد يعترض بطبيعة الحال على مثل هذه الحماية) ، بل حمايــــة **الملكية** الفلاحية . فان ما حدث على وجه الدقة هو ان ملكية الفلاح هي السبب الرئيسي في فقره ومهانته . فالعمال الزراعيون بالأجر أصبحوا الان أفضل حالا في غالب الاحيان من الفلاحين الصغار . ان حماية الفلاح ليست حمايته من الفقر بل حمايته من القيود التــي تشده لفقره » (٣٢٠) . ان التغيير الجذري للزراعة من قبل الراسمالية عملية في بدايتها فحسب، ولكنها عملية تتقدم على نحو سريع ، وتواصل تحويل الفلاح الى عامل بالاجر وتزيد من هرب السكان من الريف.

والمحاولات التي تسعى لكبح هذه العملية لا بـــد ان تكون رجعية وضارة . وليس المهم هو الى اي مدى هي ثقيلة عواقب هذه العملية في المجتمع المعاصر ، فعواقب كبح هذه العملية لا بد ان تكون اكثر سوءا فسوف تضعالسكان العاملين في وضع ميئوس منه ولا نجاة منه على الدوام . والعمل التقدمي في مجتمعنا المعاصر يمكنه ان يسعى فحسب للتقليل مـــن الاثار الضارة التي يمارسها التقدم الراسمالي على السكان، وان يسعى لرفع وعي الشعب وقدرته عـــلى الدفاع الذاتي الجماعي . ولذا فان كاوتسكي يؤكد عـــلى ضمان حرية الحركة ..الخ للقضاء على كل مخلفات الاقطاع فـــي الزراعة (مثـــل قانـــون الاقتنـــان die Gesindeordnungen الذي يضع عمال المزرعة في تبعية شخصية في وضع شبيه بالقن) ، وحظر عمل الاطفال دون سن الرابعة عشر ، واقامة يـــوم عمل من ثمان ساعات ، وسياسة صحيـــة صارمـــة لممارسة الاشراف على مساكن العمال .. الخ.. الخ.

نأمل ان يظهـــر كتاب كاوتسكي فـــي ترجمـــة روسية (٢) .

نشر وفقا لنص المجلة

كتب في مارس ١٨٩٩
ونشر في ابريل ١٨٩٩
في مجلة ناتشالو عدد (٤)
بتوقيع ف. ايلين

الملاحظات :

١ ــ العقارات الموقوفة entailed estates نظام فــي الميراث ظل مستمرا في بعض البلاد الراسمالية منذ عهود الاقطاع. وفي ظل هذا النظام تورث العقارات بلا تقسيم لاكبر افراد العائلة او لاكبر ابناء المالك .

٢ ــ نشرت ترجمة لاحد فصول كتاب كاوتسكي المسالةالزراعية die Agrarfrage فــي Nachnoye Obozreniye عدد ٨ سنة ١٨٩٩ تحت عنوان « الزراعة الحديثة » .

عرض لكتاب بارفوس
« السوق العالمي والأزمة الزراعية »

مقـــالات اقتصاديـة ترجمهـــا عـــن الالمانية ل.
ي. سان بطرسبورج ، ١٨٩٨ الناشر أ. ن. بوبوفا
(المكتبة التعليمية ، مجموعة ٢ العدد ٢) **١٤٢ صفحة**
السعر ٤٠ كوبيك

هذا الكتاب الذي كتبه صحفي المانـــي موهوب يكتب بالاسم المستعار بارفوس Parvus ، يتألف من عدة مقالات تصـــف بعض ظواهر الاقتصاد العالمـــي الحديث ، مع توجيه جل الاهتمام لالمانيا . والفكـــرة المحورية عند بارفوس هي تطور السوق العالمي وهو يصف بصفة رئيسية المراحل الراهنة من هذا التطور في عهد افول السيطرة الصناعية لانجلترا . ومـــن الاهمية بمكان ملاحظاته عن الدور الذي لعبته البلاد الصناعية القديمة التي خدمت كسوق للدول الراسمالية الاصغر : انجلترا مثلا تستوعب الكميات المتزايدة من البضائع الصناعية الالمانية ، وهي تأخذ في الوقـــت الحاضر من ١/٥ الى ١/٤ مجمل الصادرات الالمانية. ويوظف بارفوس بيانـــات الاحصاءات الاقتصاديــــة والصناعية ليصف التقسيم الخاص للعمل بين مختلف الدول الرأسمالية ، فبعضها ينتـــج اساسا لاسواق

المستعمرات ، والبعض الاخر للسوق الاوروبية . وفي الفصل المعنون « المدن والسكك الحديدية » يبذل المؤلف محاولة شيقة جدا لوصف اهم « اشكال المدن الرأسمالية » واهميتها في النظام العام للاقتصاد الرأسمالي . اما الجزء الباقي والاكبر من الكتاب (ص ٣٣ ، ١٤٢) فهو مكرس للمسائل المتعلقة بالتناقضات في الزراعة الرأسمالية في الوقت الراهن والازمة الزراعية . ويشرح بارفوس اولا تأثير تطور الصناعة على اسعار الحبوب وعلى ريع الارض .. الخ . ثم يلخص نظرية ريع الارض التي طورها ماركس في الجزء الثالث من **رأس المال** ويشرح السبب الاساسي للازمة الزراعية الرأسمالية من وجهة نظر تلك النظرية . ويضيف بارفوس بيانات عن المانيا الى التحليل النظري الخالص لتلك المسألة ويصل الى استنتاج ان « السبب الاخير والاساسي للازمةالزراعية هو زيادة ريع الارض التي ترجع بصفة خاصة للتطور الرأسمالي ومن ثم زيادة سعر الارض » . ويقول بارفوس « الغ تلك الاسعار ، فيمكن للزراعةالاوروبية ان تتنافس مرة اخرى مع الزراعة الروسية والاميركية » . « ان سلاح (ملكيتها الخاصة) الوحيد ضد الازمة الزراعية ، باستثناء الاتحادات العرضية المواتية على صعيد السوق العالمي ، هو بيع كل الملكيات الرأسمالية للارض في مزاد علني » (١٤١) . وعلى ذلك، يتفق الاستنتاج الذي استخلصه بارفوس، بصفة عامة ، مع راي انجلز ، وقد اشار انجلز في

الجزء الثالث من **راس المال** الى حقيقة ان الازمة الزراعية في الوقت الراهن تجعل ريع الارض الذي كان يجنيه ملاك الارض الاوروبيين فيما سبق امرا مستحيلا (١) . وانا لنوصي بشدة كل القراء المهتمين بالمسائل المذكورة عالية ان يطلعوا على كتاب بارفوس . انه رد ممتاز على حجج الشعبيين (النارودنيين) الدائرة الان حول الازمة الزراعية الراهنة والتي تقابلها دائما في الصحافة الشعبية (النارودنية) والتي تعاني من قصور أساسي جدا . فواقعة الازمة يتم بحثها في انفصال عن التطور العام للراسمالية الدولية ، انها لا تبحث من وجهة نظر طبقة اجتماعية محددة ، ولكن تماما بغرض استنباط اخلاق البرجوازية الصغيرة من حيوية نظام الزراعة الفلاحية الصغيرة .

ويمكن اعتبار ترجمة كتاب بارفوس مرضية على وجه العموم ، رغم ان القارىء قد يصادف في بعض المواضع بعض الصياغات اللغوية الصعبة والعسيرة.

نشر طبق الاصل في المجلة

كتب في فبراير ١٨٩٩

نشر في مارس ١٨٩٩

في مجلة ناتشالو (٢) العدد الثالث

بامضاء فل الين Vl Ilin

ملاحظات

١ — كارل ماركس . **راس المال** الجزء الثالث ، ١٩٥٩ ، ص ٧٠٨ ، ٧١٠ .

٢ — ناتشالو (**البداية**) — مجلة شهريــة ادبيــة سياسية صدرت في سانت بطرسبورج خلال الاشهر الاولى لعام ١٨٩٩ . اصدرها «الماركسيون الشرعيون» وكان محرروها ب. ب. ستروفه، م. أ. تيوجان — بارنوفسكي واخرون ونشرت مقالات لـ ج. ف. بليخانوف ، ف. أ. زاسوليتش وغيرهم . وقــد اغلقت سلطات القيصر المجلة في يونيو ١٨٩٩ .

موضوعات الكتاب

صدر من سلسلة دليل المناضل ـ المكتبة الاقتصادية

(منشورات دار ابن خلدون) :

١ ـ ما هو الاقتصاد السياسي روزا لوكسمبورغ
ترجمة ابراهيم العريس

٢ ـ الرومانسية الاقتصادية لينين
ترجمة لطفي فطيم

٣ ـ راس المال اليوم ج. كونيو
ترجمة محمد عيتاني

٤ ـ المجتمع البدائي روزا لوكسمبورغ
ترجمة ابراهيم العريس

٥ ـ اسلوب الانتاج الاشتراكي افانا سييف
ترجمة ماهر لقطينه

٦ ـ موجز راس المال انجلز
ترجمة فالح عبد الجبار

من منشورات دار ابن خلدون

اقتصـــاد :

١ ـ التراكم على الصعيد العالمي — د. سمير أمين
ترجمة حسن قبيسي

٢ ـ الامبريالية اليابانية — هوليداي ـ ماكورماك
ترجمة ابراهيم العريس

٣ ـ أزمة الطاقة في الولايات المتحدة
ونفط الشرق الاوسط — جو ستورك

٤ ـ الامبريالية وقضايا
التطور الاقتصادي — سويزي ـ هيوبرمان
ترجمة عصام الخفاجي

٥ ـ الاقتصاد الراسمالي العالمي — كريستيان بالوا
ترجمة عادل عبد المهدي

٦ ـ راسمالية الدولة الوطنية — عصام الخفاجي

٧ ـ محاكمة الانفتاح الاقتصادي
في مصر — عبد القادر شهيب

٨ ـ الاقطاع والراسمالية الزراعية
في مصر — صالح محمد صالح

٩ ـ الانتقال من الاقطاع الى
الرأسمالية — سويزي واخرون
ترجمة عصام الخفاجي

سلسلة دليل المناضل

تهدف سلاسل دليل المناضل التي تقدمها دار ابن خلدون للقاريء العربي الى تقديم خلاصة مبسطة قدر الامكان لمختلف فروع المعرفه بمنهج علمي تقدمي .

وتشمل هذه السلاسل على :

١ – سلسلة : في النظرية
٢ – « : تجارب اشتراكية
٣ – « : تجارب حزبية
٤ – « : تجارب حركات التحرير الوطني
٥ – « : المكتبة الأقتصادية
٦ – « : المكتبة الأدبية
٧ – « : دراسات عربية
٨ – « : مكتبة الشبيبة .

الثمن : ٣٥٠ ق.ل. أو ما يعادلها .